المكتبة الثقافية
٣١٢

مظاهر الحياة فى مصر فى العصر الرومانى

اجتماعيًا واقتصاديًا وإداريًا

آمال محمد الروبي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٥

مقدمة

يقدم هذا الكتاب الموجز بعض صور من الحياة الاجتماعية والنشاط الاقتصادى ومعالم النظام الادارى فى مصر فى العصر الرومانى وهى الفترة التى بدأت بفتح الامبراطور أوكتافيانوس أغسطس لمصر سنة ٣١ قبل الميلاد ، واستمرت حتى قيام الأمبراطور ديقلديانوس باصلاحاته سنة ٢٨٤ . وبالرغم من طول هذه الحقبة التى بلغت أكثر من ثلاثة قرون الا أن هذه الفترة تعتبر مجهولة فى كثير من جوانبها للقارىء العربى ، وقد حاولت قدر جهدى أن أضع صورة عامة خالية من كثير من التفاصيل حتى يمكن للقارىء أن يلم بها فى يسر وسهولة .

وتعتمد هذه الدراسة أساسا على الوثائق البردية

المكتوبة باللغة اليونانية والتى تم نشرها فى المجموعات البردية العالمية والمجلات الانجليزية والفرنسية هذا مع الاستعانة ببعض الكتب الافرنجية الحديثة التى تمس بعض الموضوعات التى عالجتها فى هذا الكتاب • وفى بعض الأحيان مكنتنا الوثائق البردية من اعطاء تفاصيل كثيرة لبعض الموضوعات • مثلا تلك الخاصة بوثائق التعداد والحياة الأسرية والضرائب بمختلف أنواعها وعلى رأسها ضريبة القمح العينية وسلطات الوالى وغيرها من الموضوعات . وأحيانا أخرى لم تمكننا أوراق البردى من أن تجيب على بعض التساؤلات واكمال صورة موضوع من الموضوعات مثلا لا نستطيع أن نقطع برأى حتى الآن بخصوص ضريبة الرأس فى مصر بعد صدور دستور الامبراطور كاراكلا كما لم نتمكن من رسم صورة تفصيلية عن الجهاز الادارى فى المراكز وعن نظام الأمن والبوليس فى مصر بوجه عام • على أى حال نرجو أن تساعدنا الظروف باكتشاف المزيد من أوراق البردى حتى نستطيع أن نوضح مختلف جوانب الحياة فى مصر فى تلك الفترة •

وقد خرجت بعدة نتائج من هذه الدراسة : الأولى أن السبب فى تشابه بعض أوجه الحياة الاجتماعية فى ذلك العصر مع مثيلاتها فى العصر الحديث يرجع الى نهر النيل الذى طبع الحياة على ضفتى الوادى بملامح متشابهة على مر العصور • ان روما سخرت الجهاز الادارى فى مصر لامتصاص مصادر الثروة ، ولو أن الأباطرة كانوا بعيدى النظر لقدروا أن هذه السياسة ستؤثر على ما تجنيه

روما من مصر . كمـــا أن البيروقراطية المصرية نمت وترعرعت فى ظل الرومان وتحت حكمهم ولكن لوجـــه الحق نقول انها لم تكن وليدة عهدهم ولكنها كانت قديمة قدم الحضارة المصرية ، ولا شك أن الظروف الجغـرافية كانت وراء هذه الظاهرة الادارية فالبيئة المصرية بيئـــة رى صناعى يعتمد على فيضان النهر ، ولتنظيم هذا الرى كان لابد من سلطة عامة مطلقة هنا بذرت بذور البيروقراطية الادارية ، ثم جاء العصر الرومانى ليتيح لها أكبر فرصة للنمو والازدهار .

كما أن محاولة اصلاح الجهاز الادارى فى القـرن الثالث لم تستطع الا أن توقف التدهور لفترة قصـيرة من الوقت ولكن ما لبثت مظاهر الانهيار أن أخـــذت تزداد على مر الأيام سيما اذا وضـــعنا نصب أعيننـــا الالتزامات المالية الجديدة التى ألقيت على عاتق السكان والمعروف أن الجهاز الادارى فى مصر بمثابة ضابط ايقاع الحياة الاقتصادية ، لذلك فانه يرتبط بانهيار الجهـــاز الادارى كثير من المشاكل الاقتصادية التى واجهتهـــا مصر منذ أواخر القرن الثانى .

المؤلفــة

الباب الأول

الحياة الاجتماعية

● الفصل الأول :

طبقات المجتمع

قسم الرومان سكان مصر من الناحية القانونية منذ أن فتحها أغسطس سنة ٣١ ق٠م الى سنة ٢١١ م ٠ الى قسمين أساسيين رومان ومصريين ، واعتبر الاسكندريون طبقة ممتازة من المصريين منحت بعض الامتيازات ونالت جانبا من الرعاية ، ويرجع ذلك الى مكانة المدينة التاريخية وماضيها العريق الى جانب أنها لم تكن تعتبر جزءا من مصر ولكنها كانت مفصولة عنها جغرافيا بعض الشيء، ومن ثم كان الاسكندريون يمثلون قمة الهرم الطبقي المصري ٠ وأصبح لفظ مصرى اصطلاحا يطلق على باقى السكان وجاءت ضريبة الرأس Laographia بمثابة علامة على هذا الفصل اذ أعفى منها الرومان والاسكندريون ودفعتها بقية الطبقات بأنصبة متفاوتة ٠

هكذا التزم الرومان منذ الفتح بمبدأ اختلاف الأجناس وصنفوا سكان مصر وقسموهم الى طبقات وضعوا بعضها فوق بعض حتى يتمكنوا من تنفيذ

هذه الهندسة الاجتماعية الهرمية الشكل كانوا ــ يقومون باجراء التعداد كل أربعة عشر عاما ، وهو السن الذى يبدأ عنده الصبى فى دفع ضريبة الراس .

وكانت عملية التعداد تجرى ــ كما كان يحدث فى روما ــ على أساس المنازل ولذلك سميت اقرارات التعداد باسم « السجل أو الاحصاء السكنى » وهو عبارة عن تقرير مكتوب يقدمه صاحب المنزل عن سكانه واذا كان مالك المنزل يقيم فيه كان يعد نفسه مع باقى السكان ، اما اذا كان يقيم فى مكان آخر فيكتفى بذكر سكان المنزل فقط . وكانت هذه الاقرارات المنزلية تقدم لموظفى الدولة المسئولين عن الادارة فى العاصمة والأقاليم (١) .

ويمكن تقسيم بيان التعداد الى الأقسام التالية :

أولا : عنوان الموظف المختص بالتعداد .

ثانيا : اسم ومحل اقامة مالك المنزل بالتفصيل . هل كان يقيم فى المنزل المقدم عنه التقرير أم لا ؟ هل هو ينتمى الى طبقة لها امتياز أو العكس ؟ واذا كان مالك المنزل طفلا فعلى الوصى القانونى ان يقوم بهذا الاجراء ، أما اذا كانت امراة فعليها أن تقدم البيان مع زوجها . واذا توفى الزوج أو طلقت منه فمع الوصى القانونى عليها . أما فى حالة الملكية المشتركة للمنزل عن طريق الارث

(١) راجع S.L. Wallace, Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian, London, 1938, pp. 116-134.

أو البيع فكان من الضرورى أن يذكر جميع الملاك المشتركين فى ملكيته ، أو أن يذكر مالك كل جزء على حدة . ومنذ النصف الثانى من القرن الاول أصبح مالك المنزل يذكر أنه قـــام بعملية التعداد طبقا لقرار الوالى الذى نشر فى السنة نفســها أو السنة التالية لها .

ثالثا : وصف عام للمنزل وأسماء وأوصاف سكانه . واذا كان صاحب الاقرار مقيما فى المنزل كان يذكر اسمه وأسرته فى المقدمة ويشمل وصف العائلة أصـــل الزوج والزوجة والأطفـــال ، وما اذا كان كل من الزوج والزوجة قد تزوج مرة واحدة أو أكثر هــذا الى جانب ذكر أعمارهم وأوصافهم الجســـمانية ومهنة كل منهم بالاضافة الى تسجيل تغيير الاقامة وحالات الميلاد التى حدثت بعد آخر تعداد أو حالات الوفاة . ثم يأتى بعد ذلك ذكر العبيد بعـد ذكر أفراد الأسرة وذلك فى حالة وجودهم . وفى حالة وجود أملاك أخرى لمالك المنزل أو أحد أفراد أسرته تذكر باختصار مع ذكر حالتها : هل هى خالية أم مؤجرة ؟ وكان على مالك المنزل أن يذكر هل يقيم فى منزله رومان واسكندريون أم لا ؟ .

رابعا : يأتى فى الختـــام قسم المالك بأن المعلومات التى قدمهـــا صحيحة وكان يقسم عادة بحيـــاة جلالة

الامبراطور أو بخط الامبراطور السعيد ثم يذيل البيان فى النهاية بذكر التاريخ ·

كان من الأفضل لصاحب المنزل أن يوكل مهمة كتابة هذا الاقرار الى كاتب حتى لا يقع عليه العقاب عند اكتشاف أى خطأ فيه · ومما لا شك فيه أنه كان هناك كثير من الاقرارات المزيفة ولذلك وضعت عقوبات صارمة لردع مثل هؤلاء المزيفين · وقد حفظت هذه العقوبات فى وثيقة « الدخل الخاص » الخاصة « بمدير الحساب الخاص » (١) ومن هذه العقوبات الآتى : —

مادة / ٥٨ : ان الأشخاص الذين لا يقدمون اقرارات عن المنازل التى يمتلكونها أو هؤلاء الذين يجب عليهم أن يقدم عنهم اقرار يعاقبون بمصادرة ربع أملاكهم ، واذا اكتشف انهم لم يقدموا الاقرارات فى سنتين متتاليتين يدفعون الغرامة نفسها مضاعفة .

مادة / ٦٠ : فى حالة عدم تقديم اقرار عن العبد يتم مصادرته ·

مادة /٦٢ : لا يعتبر الجنود الذين يخدمون فى

(١) كانت مهمة مدير الحساب الخاص الاشراف على تحصيل الأموال العامة للخزانة الامبراطورية من مصادر أخرى غير الضرائب العامة مثل الغرامات والأملاك التى لاوارث لها ·· الخ ·

الجيش مسئولين عن عدم تعداد زوجاتهم وأولادهم لهم فى التعداد .

وبناء على هذه الاقرارات الفردية (١) كانت تعد كشوف وافيه يدون فيها أسماء جميع السكان وأعمارهم وأوضاعهم القانونية ومدى اعفاءاتهم موزعة حسب الشوارع والمنازل . وكانت شهادات الوفاة والميلاد تستعمل فى الفترة الواقعة بين كل تعداد وآخر لتصحيح البيانات الواردة بهذه الكشوف وجعلها متمشية مع الواقع . والهدف الأول من بيانات التعداد هو تحديد وضع الأفراد الاجتماعى « الطبقى » ثم ما يترتب على ذلك من تقدير الضرائب وأهمها ضريبة الرأس .

اما فيما يختص بالمواطنين الرومان وأسرهم وعبيدهم فقد كانوا يخضعون لتعداد خاص بهم يقوم به الوالى بنفسه أو ممثلوه ، مغزاه الرئيسى تأكيد حصولهم على الجنسية الرومانية لاعفائهم من ضريبة الرأس والالتزامات والأعباء الالزامية الأخرى .

(١) عن اقرارات التعداد راجع الوثائق التالية :

F.G. Kenyen, Greek Papyri in the British Museum, Vol. III, No. 946, p. 31 (A.D. 231); J. de M. Johnson, Martin and Hunt., Catalogue of the Greek Papyri in the John Rylands Library, Vol. II, No. 102 (2nd cent. A.D.).

هكذا حددت هذه الاقرارات وضع كل فرد في مصر ووضعه في طبقته المناسبة وأصبحت هندسة المجتمع المصرى هرمية الشكل ، تتكون من طبقات رتبت بعضها فوق بعض وتربع الرومان على القمة ، وتلاهم الاسكندريون ، واحتل اليونانيون الطبقة الثالثة واخيرا المصريون ومن فى وضعهم من اليونان ساكنى الريف المبعثرين فى القاع والمنتشرين فيه . هذه الطبقات الأربع كانت مختلفة فيما بينها فى الحجم والجنس والامتيازات والحقوق والواجبات ــ لذلك سوف نتحدث عن كل منها بالتفصيل ولنبدأ بالحديث عن الطبقة الجديدة الحاكمة في المجتمع المصرى وأعنى بها طبقة الرومان .

في بداية حديثنا عن هذه الطبقة لنا ملاحظة وهى أن وصول العنصر الرومانى المدنى الى مصر كان قليل العدد على عكس اليونان الذين جاءوا اليها فى ركاب الفتح فى مواكب كبيرة وانتشروا فى كثير من أجزائها ، ولذلك كان الرومان الخلص غرباء في مصر . وقد أدى هذا دون شك الى مصلحة الجهات المحلية ، اذ لم يدخل الرومان الا تغييرات طفيفة على السطح لم تنفذ الى القاع أو تتوغل فيه ، وأعنى بهذه التغييرات تلك التى أحدثوها فى مناصب الحكم والادارة ــ بمعنى آخر لم يكن هناك جالية رومانية فى مصر ، وانما تكونت هذه الطبقة اساسا من الموظفين الرومان الذين يعينهم الامبراطور فى المناصب العليا بالادارة المصرية ومن رجال الأعمال الرومان الذين حضروا

الى مصر من أجل ممارسة نشـــاطهم التجارى ومن جنود الحامية الرومانية • ومن المعروف أن هـذه الحامية (١) كانت من أهم المصـــادر لجلب الجنود الرومان والأجانب لمصر • وقد وضع الامبراطور أغسطس فى مصر مالاً يقـل عن ثلاث فرق رومانية بالاضافة الى القوات المســاعدة الملحقة بها • ولما كان العدد الكلى لجنود الفرقة الرومانية يبلغ ٥٦٧٠ جنديا بالاضافة الى القوات المساعدة التى كانت تتألف من كتائب من المشاه وفصائل من الفرسان ، كـل منها تضم اما ٥٠٠ أو ١٠٠٠ رجل لرأينا أن هذا الجيش كان حجمه كبيرا فى مصر عقب الفتح ولـكن مصر كانت بلدا من السهل الدفاع عنه ، وكان فى وسـع أى قائد طموح ، اذا وطد مركزه فيها ان يقطع عن روما مئونة الغلال التى كانت مصر تسهم بها فى اطعام شعبها الجائع ، كما كان فى وسعه ايضا ان يقطع عليها فى الوقت نفسه أحد الطرق التجارية الهامة التى تصل الامبراطورية بالشرق، ولكن بعد أن استتب الأمن فى البـــلاد سحب خليفته الامبراطور تيبريوس واحدة من الفرق الثلاث ولا نعرف على وجه التحديد اســمها ، اما الفرقتان اللتان بقيتا فى مصر فهمـــا فرقة ديوطاروس الثانية والعشرون ، وفرقة قورينى الثالثة وقبل عام ١٢٧ أضيفت اليهما الفرقة الثالثة وهى فرقة تراجان الثـــانية ، ثم سحبت فرقة قورينى

---

(١) عن الحامية الرومانية فى مصر راجع
J. Lesquier, L'Armée Romaine d'Auguste à Diocletian, Le Caire, 1918.

الثـالثة من مصر بعد عام ١١٩ وأبيدت فرقة ديوطاروس الثانية والعشرون فى الحرب اليهودية (١٣٢ / ١٣٤ م) فى عهد الامبراطور هادريان ، وبذلك لم يبق فى مصر بعد ذلك سوى فرقة تراجان الثانية الباسلة ومعهـــا القوات المساعدة . ومن العسير تقدير عدد جنود الجيش الرومانى المحتل فى مصر فى وقت بعينه ويرى بعض المؤرخين أنه لم يزد أبداً على ١٧٫٠٠٠ أو ١٨٫٠٠٠ بعد عام ٢٣ م . ويرى البعض الآخر أنه كان يزيد على هذا العدد .

كان هدف هذا الجيش احتـــلال البلاد عسكريا والمحافظة عليها كجزء من أملاك الامبراطورية الرومانية أو بمعنى أصبح جزءا من أملاك الامبراطور الرومانى . ولكن حين طالت فترات السلام واستقرت الأوضاع فى البـــلاد وحيث ان مـــدة الخـــدمة فى الجيش كانت تتراوح بين (١٦ ـ ٢٦ سنة) لذلك خرج الجنـــود من معسكراتهم والتقوا بالأهالى اجتماعيا عن طريق الزواج واقتصاديا بالاشتراك فى أوجه النشاط المالى والتجارى وخاصة كملاك للأراضى وممولين بقروض المـــال نظير فوائد مجزية وهى تجارة رابحة مارسها كثير من الأثرياء فى مصر الرومانية .

لم تظل الطبقة الرومانية مقصورة على هؤلاء بل لقد طعمت وجددت دماؤها بعناصر جديدة من اليونان والمصريين الذين حصلوا على الجنسية الرومانية عن طريق الخدمة فى

الجيش أما فى سلاح القوات المساعدة أو الأسطول (١) أو من الاسكندريين الذين حصلوا عليها لسبب أو لآخــر . لهــذا زاد عدد الرومان فى مصر فى القرن الثــانى وأوائل الثالث . وهذا يفسر لنا أســماء الأفراد الذين نجــد أن الجزء الأول منها رومانى وهــو فى العــادة اسم عشــيرة الامبراطور الذى اكتسب المواطن فى عهــده الجنســية الرومانية والجزء الأخير من الاسم (أو الكنية) يونانى وهو اسمه الأصلى .

هذه الطبقة الرومانية مهما كان أصــل أفرادها أو الطريقة التى حصلوا بها على الجنسية الرومانية كانوا هم ســادة المجتمع يختار من بينهم كبــار موظفى الادارة . ويتمتعون بامتيازات كثيرة منها الاعفاء من بعض الضرائب وفى مقدمتها الاعفاء من ضريبة الرأس الى جانب الاستثناء من القيام بالخدمات وتولى الوظائف المحلية فى بداية الفتح الرومانى على الأقل ، كما كان لهم شرف الخدمة فى الفرق الرومانية ، وعند ازدياد عددهم فى اقليم من الاقاليم كانوا يكونون ما يشبه رابطة تافعهم ليســهموا كمجمــوعة مستقلة فى حياة المدينة أو البلدة التى هم فيهــا . ومن

(١) كان الجيش الرومانى يتكون من ثلاثة أســلحة : الفرقة ولا يشترك فيها الا المواطنون الرومان والقوات المساعدة والاسطول وكان يسمح للاجانب بالخدمة فى كليهما الأول لمدة ٢٤/٢٥ سنة والثانى لمدة ٢٥/٢٦ سنة يمنح بعدها الجندى المسرح تسريحا مشرفا الجنســية الرومانية وحق الزواج .

الملاحظة أن عددا كبيرا من الرومان فى مصر (من غير رجال الحامية) كانوا يقيمون فى مدينة الاسكندرية مركز الحكم وعاصمة البلاد . وقد ظل الرومان يتمتعون بهذا الوضع الممتاز حتى صدور دستور الامبراطور كاراكلا (٢١٢ / ٢١٤ م) - الذى منح بمقتضاه الجنسية الرومانية لكافة سكان الامبراطورية ما عدا الأجانب المستسلمين .

واذا فحصنا العناصر الأخرى لمجتمع ذلك العصر وجدنا أن طبقة الاسكندريين كانت تحتل الدرجة الثانية للرومان جريا على سياسة الرومان الخبيثة فى حكم الولايات من اصطناع أقلية ارستقراطية فى الولايات يمنحونها امتيازات خاصة ، كذلك فعلوا فى مصر فحافظوا على وضع الاسكندريين الممتاز بل لقد اكتسب الوضع القانونى لمواطنى الاسكندرية أهمية خاصة فى ذلك العصر ، فعدا الامتيازات التى كانوا يتمتعون بها مثل الاعفاء الكلى من ضريبة الرأس التى فرضت على جميع المصريين ومن فى وصفهم ، قصر الرومان حق اكتساب جنسيتهم مباشرة وليس عن طريق الخدمة العسكرية - على الاسكندريين فقط بحيث أن اى مصرى يريد الحصول على حقوق المواطنة الرومانية كان عليه أن يحصل أولا على الجنسية السكندرية .

والدلالة على مدى قيمة الجنسية السكندرية نسوق دليلا : كان الكاتب الأديب بليليوس الأصغر صديقا

للامبراطور تراجان الذى حكم فى أوائل القرن الثــــانى
(٩٨ ــ ١١٧ م) فعين صديقه بلينيوس حاكما على ولاية
بيثينيا (فى آسيا الصغرى) وجرت بينهما مراســـلات
طريفة وصلتنا منها ما هو خاص بقصـــة الطبيب المصرى
الذى عالج بلينيوس فشفاه فأراد الأخير أن يكافئه فلم يجد
أفضل من أن يلتمس من تراجان أن يمنح طبيبه المصرى
الجنسية الرومانية ويبادر الأمبراطور بمنحه اياها واذا
بمكتب الوالى فى الاسكندرية يبدى دهشته لهذا الاجراء
اذ كيـــف فات تراجان أنه ينبغى أن يمنـــح المصرى أولا
الجنسية الســـكندرية تمهيدا لحصوله على الجنســـية
الرومانية . واليك الرسالة الثانية التى أرسلها بلينيوس
للامبراطور تراجان وفيها يقول :

« أشكرك يامولاى لأنك تكرمت دون ابطـــاء
بمنح الجنسية الرومانية لهربوكراتيس طبيبى
الخاص غير أننى عندما بعثت بيانا عن ســـنه
وحالته المـــالية بناء على تعليماتك ابلغنى من
هم أكثر منى خبرة أنه كان ينبغى أن أحصل
له أولا على الجنسية الســـكندرية وبعدئذ على
الجنسية الرومانية حيث أنه مصرى . ولماكنت
أحسب أنه لا يوجـــد أى فرق بين المصريين
وغيرهم من الأجانب فقد أكتفيت بابلاغك بأنه
عبد اعتقته امراة اجنبية وأن سيدته توفيت
منذ مدة طويلة وأنا غير نادم على جهلى هـــذا

لانه يتيح لى الفرصـــة لكى أصبح مدينا لك
بدين مضاعف من أجل الشخص نفسه ، لذلك
التمس أن تمنحه الجنسية السكندرية فـوق
الجنسية الرومانية حتى يتسنى لى أن استفيد
قانونا بمنحتك » .

واضح جدا أن الجنسية السكندرية شرط للحصول على الجنسية الرومانية فى الأحوال التى يتقرر فيها مكافأة شخص بالجنسية الرومانية لسبب معين اما لبطولة او عمل مجيد .

على الرغم من هذه الامتيازات فلم يقنع الاسكندريون بها اذ كانوا يضيقون بوجود طبقة أرقى منهم فى المجتمع، ولم ينسوا أن مدينتهم قد تحولت من عاصمة امبراطورية فى العصر البطلمى لتصبح عاصمة ولاية فى العصر الرومانى وأنهم حرموا من وجود ملك لهم فى مدينتهم الكبيرة ، وأن اغسطس رفض أن يسمح لهم بتكوين مجلس شـــورى لمدينتهم على حين أعطى اليهود امتيازات مماثلة . ولكن يبدو ان الرومان والاسكندريون كانوا يعتبرون فئة واحدة فى نظر الادارة المركزية فى الاسكندرية لأنهم كانوا يكونون طبقة اقتصادية واحدة ، كما أن الاسكندريين لم يخضعوا للمديرين فى الاقاليم مثلهم فى ذلك مثل الرومان، والدليل على ذلك تلك البردية التى ترجع لعام ١٣٩ م وهى عبارة عن خطاب من مدير « قفط » الى الوالى يشـــكو له فيه المواطنين الرومان والاســكندريين والجنود القـــدماء

المقيمين فى قفط لأنهم يضربون مثلا سيئا لمواطنى الاقاليم حيث انهم يعصون أوامره ولا يخضعون لسلطان موظفى المدير مثل محصلى الضرائب المحليين . وجـــاء رد الوالى افيديوس هليودوروس مؤيدا لموقفهم وامر المدير أن يرفع هذه القضية الى موظف أرقى منه وهو المدير العام الذى كان من اختصاصـــه الاشراف على عــدد من النــومات (الأقاليم) معا .

ويؤكد منشور الوالى تيبريوس بوليوس الاسـكندر حقوق الاسكندريين المقيمين فى الأقاليم بقوله انه «تأكيدا لما منحه الأباطرة لمواطنى الاسكندرية المقيمين فى الأقاليم ينبغى ألا يرغموا على القيام بالخدمات العامة » هــذا النص يثبت أن الاســكندريين كانوا يعفون من الأعبــاء المحلية . وقد تأكد هذا الامتياز فى المراسيم الامبراطورية ولكن احدى الوثائق البردية من هرموبوليس ماجنــــا « الاشمونيين فى محافظة المنيا » تعطى ترجمتها معنى عكس ذلك ، اذ يطالب أحد الاسكندريين الذين يملكون أراضى فى الأقاليم بالاعفاء من الاعباء نظرا لتقدم سنه واوضعه كمواطن سكندرى . فهل معنى هذا أن مواطن الاسكندرية أى الحاصل على حقوق المواطنة السكندرية كان يخضـــع للأعباء فى الأقاليم ؟ فى اســتطاعتنا أن نفترض أنه ربما قد حدثت بعض التعديلات فى حقوق الاسكندريين بعــد القرن الأول بسبب سوء الأحوال الاقتصادية، لذلك نحيت المراسيم الأمبراطورية جانبا . واذا سلمنا بأن السكندريين

من الملاك فى الريف أصبحوا يخضعون للأعباء المحلية فيبدو أن هذا الخضـــوع لم يكون متوارثا ولكنه كان شخصيا وربما لم يكن تقدم السن حائلا دون الاعفاء منهـــا كما فى الحالة السابق عرضها • وهناك افتراض آخر وهـو أن يكون صاحب هذا الالتماس من مدينة الاسكندرية وليس مواطنا بها له حقوق المواطنة على الرغم من ادعائه غير ذلك •

يأتى بعد الرومان والسكندريين سائر السكان الذين كانوا يسمون اصطلاحا باسم مصريين ، وليس معنى ذلك أنهم كانوا طبقة واحدة ولكن يمكن تقسيمهم الى طبقتين : الطبقة الوطنية المصرية والثانية غير وطنية وأعنى بها طبقة اليونانيين الذين لم يرتقوا الى مرتبـة الطبقتين الأوليين كما انهم لم ينزلوا — الى مرتبة المصريين ولكنهم كانوا يحتلون مركزا وسطا بينهما • وكان خضـــوع اليونانيين والمصريين لضريبة الرأس هو أهم ما يميزهم ، ومع ذلك لم يعاملوا كلهم بخصوصها معاملة واحـــدة ، فالفئات الأكثر رقيا والأكثر ثراء من الاغريق والمتأغرقين من مواطنى عواصـــم الأقاليم كانوا يدفعونها بأنصبـة متفاوتة حسب منزلتهم الاجتماعية ومستواهم الثقـافى أما الغالبية العظمى من فقراء الفـــلاحين المصريين فكانوا يدفعونها كاملة •

تلك هى أهم ملامح طبقتى اليونان والمصريين فى وادى النيل بوجه عام وسوف نتناولهما بالحديث المفصل بادئين بالأولى :

من الواضح أن عدد أفراد الطبقة اليونانية فى مصر كان كبيرا اذ كانت تلى طبقة المصريين من حيث العدد ولذلك كانت تمثل شريحة أساسية فى المجتمع المصرى لأن اليونانيين جاءوا أفواجا كبيرة فى ركاب جيش الاسكندر الى مصر وانتشروا فيها بطول وادى النيل وأصبحوا يكونون طبقة كبيرة العدد لها وزنها فى مجتمع ذلك العصر. وقد وجد فى داخل هذه الطبقة فى العصر الرومانى هيراركية معينة ، أى انها انقسمت من الداخل الى مراتب ودرجات حسب الثروة والعائلة والثقافة وكان على رأسها طبقة مواطنى عواصم الاقاليم التى احتل قمتها فئة أعضاء الجمنازيوم (١) وأهم الوثائق التى تشير اليها تلك التى تتحدث عن شاب اغفل كاتب الحى أن يدونه فى قوائم الشبيبة لذلك قدم والده التماسا للمدير العام اوريليوس سيفروس يقول فيه « انه من طبقة الجمنازيوم .. وحيث ان ابنه قد بلغ سن الرابعة عشرة فى هذا العام لذلك يطلب ادراج اسمه فى قائمة الشبيبة » . ويبدو أن الانتماء الى فئة أعضاء الجمنازيوم كان متوارثا (٢) .

وتمثلت امتيازات هذه الفئة فى الحصول على التعليم الهللينى فى الجمنازيوم واختيار حكام المدينة من هيئتهم

---

(١) الجمنازيوم : معهد ثقافى رياضى وكانت عضويته مقصورة على افراد الطبقة اليونانية .

(٢) P. Jouguet, La vie municipale dans l'Egypte Romaine, Paris, 1911, p. 104.

الارســتقراطية . الى جانب اختيــار الشــبيبة من بينهم والمعروف ان ميعاد اختيار الشبيبة لم يكن يتطابق مــع بيانات التعداد المنزلى ٠ والملاحظ من الوثائق البردية التى بين أيدينا أن كل الأشخاص الذين يطلبون تسجيل أبنائهم فى قوائم الشــبيبة كانوا يحملون أسماء يونانية ، ولم يكن من الممكن قبـــول المصريين من ذوى الثقافة اليونانية فى عضوية الجمنازيوم وبالتالى فى سجلات الشــبيبة حيث كان يذكر فى وثائق الشــبيبة أن الوالد يونانى من أعضاء الجمنازيوم وأن والدة المرشح ســيدة حرة تزوج بهــا والده زواجا قانونيا ٠

ومن أمثلة هذه الطلبات الآتى :

« ٠٠ الى أكزجتى (المشرف على التعـــليم) اقيم هرموبوليس (الاشمونين) ، من انوبيون بن ديوسكوروس عضو الجمنازيوم . أن أحد هؤلاء المتقدمين للشــبيبة فى السنة الثانية عشر من حكم تيبريوس قيصر اغسطس (سنة ٦٣ ميلادية) هـــو ابنى ديوسكوروس ووالدته انتيجونى ابنة هوريون عضو الجمنازيوم ، وقد بلغ السن المحددة لقبوله كعضو فى الشــبيبة والتمس منك أن تأمر ٠٠ كاتب الجمنازيوم أن يسجله بين المقبولين فيه » (١) ٠

بعد ذلك يبرز أمامنا مشكلة فيما يتعلق بفئة أعضاء

(١) P. Ryl. Vol. II, No. 101 (A.D. 63).

الجمنازيوم وهى : هل هم اولئك المنحدرون من نسـل رؤساء معاهد التربية ام انهم هم اولئك الأفراد الذين تلقوا تعليمهم فى معهد التربية ويرى بعض المؤرخين أنهم كانوا من سلالة مديرى معـاهد التربية • ويرى بعض المؤرخين أن هـذه الطبقة كانت تتكون من كل من تلقى تعليمه فى الجمنازيوم •

أما امتياز هذه الطبقة المالى فيتمثل فى انهم كانوا يدفعون أدنى معدل لضريبة الرأس المقررة على طبقة مواطنى عواصم الأقاليم ثم يأتى بعدهم بقية طبقة مواطنى عواصم الأقاليم ثم يليهم اليونانيون من سـاكنى الريف وكانوا يعاملون معاملة المصريين •

يأتى خلف هذه الطبقات جميعـا وفى القاعدة طبقة الوطنيين من المصريين • كانت هـذه الطبقة الوطنية أكثر الطبقات حجما وأوسعها انتشارا واقلها حقوقا وأكثرها فقرا • اذ كان يقع عليهم عبء دفع ضريبة الرأس كاملة الى جانب الضرائب والاعباء الأخرى وخاصة أعمال السـخرة لمواجهة أخطار النهر واندفاعاته الجامحة من شـق للترع وبناء للجسور وحفر للمصارف الى جانب أعمال الحراسـة والنقل ومع ذلك فقد ترك للمصريين نافذة ضيقة تطل على حقوق المواطنة الرومانية ليرتفعوا الى قمة الهرم الطبقى، وقد تمثل هذا المنفذ الوحيد فى الخدمة العسـكرية فى القوات المساعدة الرومانية والأسطول (١) لمدة تتراوح بين

(١) P. Ryl., vol. II, No. 101 (A.D. 63).

٢٥ ـ ٢٦ سنة والخدمة فى الأسطول لمدة ٢٦ سنة ٠
واذا التحق مصرى بأى من هذين السلاحين كان يحمل اسما رومانيا وللدلالة على ذلك لدينا وثيقة من بلدة فيلادلفيا (جزرة شمال شرقى الفيوم) من شخص يدعى ابيون التحق بأسطول ميسينوم التى كانت مهمته نقل القمح من الاسكندرية الى روما فلما وصل الى ميسينوم كتب لأبيه خطابا يقول فيه :

« من ابيون الى ايماخوس ابيه وسيده تحيات كثيرة جدا ، انى اصلى من اجل صحتك وان تكون دائما فى خير وسلام أنت وأختى وابنها وأخى ، اننى لأشكر المولى سيرابيس لأنه انقذنى فى الحال عندما تعرضت للخطر فى عرض البحر ٠ عندما وصلت الى ميسينوم استلمت نفقات السفر من قيصر (الامبراطور) ثلاث قطع ذهبية واحوالى على مايرام اننى ارجوك اذا يا ابى ومولاى ان تكتب لى رسالة اولا عن صحتك وثانيا عن سلامة اخوتى وثالثا لكى أنحنى أمام يديك (لكي أقبل رسالتك) باحترام لأنك احسنت تربيتى ومن ثم آمل ان اترقى بسرعة بمشيئة الالهة ـ بلغ سلاماتى الكثيرة لكابيتو ولأخوتى وسيرنييلا وأصدقائى ٠ لقد أرسلت لك صورتى عن طريق يوكتيمون ٠ ان اسمى الآن انطونيوس ماكسيموس وانى لأدعو لك بالصحة وسريتى (يقصد سفينتى لأن كل سفينة فى الأسطول تقابل سرية فى الجيش) هى الاثينونيكى » ٠٠

وبعد انتهاء خدمة الجندى فى أى من السلاحين يمنح بعدها الجندى المسرح او المحارب القديم اذا كان تسريحا مشرفا ــ يمنح الجنسية الرومانية هو وأبناؤه مع حــق الزواج الشرعى وما يترتب عليه من آثار أهمهــا اكتساب الأبناء جنسية الأب حتى ولو كا نمتزوجا بامرأة غير رومانية وقد ظل هذا الوضع قائما حتى صدور دستور كاراكلا سنة ٢١١/٢١٢ م ٠

واستمر المصريون وخاصة أهل الريف منهم يعيشون وفقا لأسلوب حيــاتهم القديم ، ويتحدثون اللغة المصرية القديمة ويقومون بالواجبات نحو الأرض وسادة الأرض ٠ ولكن ما لبثت ان زادت الأعباء عليهم منذ اواخر القرن الأول الميلادى ، ومع تدهور حالتهم الاقتصادية واصل الرومان امتصــاص دمائهم ، لذلك فر بعضهم الى الأحراش والمستنقعات فى الدلتا حيث أصبحوا يقومون بالتلصص وقطع الطرق وطائفة أخرى رفضت القيام بمثل هذه الأعمال الاجرامية ، ووجدت فى زحام الاسكندرية ملجأ وملاذا لها ٠ وفى حالة فرار المواطنين يقوم أهلهم بابلاغ ذلك الى السلطات الرومانية (١) ٠ ولقــد اذاق محصلو الضرائب أهل المزارعين الفارين سوء العذاب ليعرفوا منهم مخبــأ الهاربين أو ليسلبوا منهم الضرائب المستحقة على الفارين ٠ وأصابت حالات الفرار الحياة فى الريف بنوع

(١) فرض الأباطرة منذ القرن الثانى الضرائب المستحقة على الفارين فى المكان الذى يقيمون فيه سواء أكان مدينة أم قرية ٠

من الشلل لقلة الأيدى العاملة الى جانب انها كانت تفسد الحياة فى المدن الكبرى لاكتظاظها بالمتعطلين • لهذا كان الولاة ينتهزون فترة اجراء التعـداد ليصدروا بيـانات يطلبون فيها من كل شخص غائب عن موطنه بأن يعود اليه والى عمله الأصلى •

تسجيل الأسماء :

من الوسائل التى اتبعهـــا الرومان فى التنظيم الاجتماعى والفصل بين الطبقات ضبط الألقاب وتسـجيل الأسماء وذلك لأن الاسم ولقب حامله كان يعين الطبقة التى ينتمى اليها الفرد ، ومن ثم يســهل بعـد ذلك تحـديد مسـئوليته من حيث دفع الضرائب وتأدية الخـدمات والالتزامات والملاحظ من خـلال الوثائق ميـل كثير من المصريين فى أواخر العصر الرومانى الى حمل اسماء يونانية الى جانب أسمائهم المصرية القديمة ممـــا يوضح أنهم اكتسـبوا الأسـماء اليونانية مؤخرا ، لذلك استخدموا الاثنتين معا لتوضيح شخصياتهم • فلو تركت هـــذه الحالة دون تنظيم لأدى ذلك الى حدوث خلط كبير وخاصة لاختلاف الجنسيات والشعوب التى كانت تعيش فى مصر . لذلك عهدت الحـكومة الى الموظف المعروف باسم مدير الحساب الخاص للاشراف على تسجيل الاسماء ، وأصبح على كل من يرغب فى تغيير اسمه أن يقدم له طلبا بذلك •

ولقد اهتم الرومان أيضا بتسجيل حالات الميلاد لكل

الطبقـــات لتوزيع المسئوليات ٠ ويرى الاســـتاذ ونتر (Winter) **(١) ان المصريين لم يســـجلوا حـــالات** الميلاد عندهم فى السجلات الرسمية ٠ ولكن الواقع عكس ذلك لأن الحكومة الرومانية كانت تهتم أشـــد الاهتمام بتسجيل حالات الميلاد لدى كل الطبقات لأهمية ذلك فى تحديد وضع الأفراد ٠ وفى الحق نقول ان تسجيل حالات الوفاة هـــو الذى لم يكن يهمهـــا لمـــا يترتب عليـــه من رفع الأعبـــاء .

الموطن :

ان انقســـام المجتمع الى الطبقات الســـابق شرحها يوضح طبيعته وانعكاســـاته وذلك لأن كل شخص كان عضوا فى مجتمع خاص يرتبط به بروابط قوية بمقتضى المولد وهو ذلك الحق الذى اســـماه القانون الرومانى باسم حق الموطن origo وكان لهذه الرابطة اهمية بالغة ويعتبر الخروج عليها فى الظروف الاستثنائية يمثل خطرا كبيرا . ومن النادر جدا ان نجد اى شخص لا يشير الى موطنه فى مراسلاته الرسمية . واذا انتقل اى شخص من موطنه الأصلى الى اى مكان آخر كان يعتبر فيه غريبا . والى جانب الفصل بين اهل المنطقة الأصليين والغرباء المارين عليها او المقيمين فيها كان هنـــاك تمييز

(١) Lewis and Reinhold, op. cit., vol. II, p. 397 ; Winter (J.G.), Life and Letters in the Papyri, Michigan, 1933, p. 52.

آخر بين سكان عاصمة الاقليم والمركز والقرية . وكان لهذا التمييز اهميته الكبرى خصوصا من الناحية الحضارية حيث كانت المسافة الحضارية شاسعة بين الاسكندرية وعواصم الأقاليم من جانب وبين الأقاليم وقراها من جانب آخر . حتى ان الدارس لتاريخ مصر وحضارتها يجد نفسه ازاء ازدواجية حضارية صارخة . ويظهر لنا اهمية هذا التمييز بين عاصمة الاقليم واحدى القرى التابعة لها من احدى وثائق الفيوم التى يشكو فيها صاحبها « من انه قد سجل على يد كاتب الحى فى ارجياس على حين ان كلا من والده وجده قد سجلا فى عاصمة الاقليم » وقد رفعت هذه الشكوى الى قاضى الاسكندرية للفصل فيها .

● الفصل الثانى :

العلاقات الاجتماعية

قبل أن ننتقل الى الحيــاة والعلاقات الاجتماعية لنتعرف على ضــوابطها واتجاهاتها نلاحظ أن الرومان الخلص لم يكن لهم الى تأثير على الحياة الاجتماعية فى مصر الرومانية بوجه عام وذلك لقلة عددهم بين السكان الى جانب ان اكثرهم من رجال الجيش المقيمين دائما فى المعسكرات . لكن كان هناك اختلاط بين المصريين من جهة واليونانيين من جهة أخرى ولا ترجع بداية هــذا الاختلاط الى العصر الرومانى ولكن تمتد فى اعماق العصر اليونانى وقد ظهر هذا الاختلاط واضحا فى القرى حيث اختلطت الدماء فى العروق والشرايين أما فى المدينة فقد احتفظ كثير من اليونانيين بنقاء دمائهم الى حد كبير . ولكن حتى هؤلاء الذين لم يختلطوا بالمصريين عن طريق الزواج والمصاهرة قد أخذوا منهم كثيرا من العــادات وخصوصا عادة زواج الأخت بأخيها . ولم يوصم الزواج بين اليونان والمصريين بالعار ولم يمنع صاحبه من أن

يكون له اصدقاء من الرومان . اما الزواج بين المصريين والرومان فيبدو انه قد منع من حيث المبدأ .

ولنبدأ الحديث بتناول الأسرة التى تعتبر الخلية الأولى فى الحياة والعلاقات الاجتماعية فى كل العصور . ولم تختلف صورة الأسرة فى العصر الرومانى عنها فى العصر الحديث وخاصة فى أهل الريف . واول ما نلاحظه أن الروابط الأسرية كانت قوية اذ كان يربط افرادها صلات الدم والود والرحمة ونحن نحس ذلك فى اغلب الخطابات الشخصية التى نشعر فيها بذلك . ومن نماذج هذه الخطابات الخطاب التالى وهو من ام الى ابنتها المتزوجة من اخيها :

« من يودايمونس الى ابنتها اليينى تحية . انى لأدعو قبل كل شىء أن تكونى قد وضعت فى ميعادك . وان اتلقى رسالة بأنه ولد وبعد سفرك الى الجنوب فى يوم ٢٩ انتهيت من نسج الصوف فى اليوم التالى ... أختك سويروس وضعت .. ان الصغيرة تبعث اليك بتحياتها وهى مثابرة على دروسها ... زوجة يودايمونس لا تفارقنى وانى لأشكرها على ذلك ... »(١) .

ولدينا بردية اخرى ارسلتها احدى الاماء الى

(١) عبد اللطيف أحمد على : مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء اوراق البردى ـ القاهرة ١٩٦٣ . ص ١٩٩

سيدها وكان يشغل منصب مدير احد الاقاليم فى مصر العليا وفيها تعبر عن أشواقها الحارة بقولها :

« من تاووس الى مولاها أبوللونيوس ، تحيات كثيرة جدا ، لقد قلقت يا مولاى قلقا شديدا عندما سمعت بأنك كنت منحرف الصحة ، لكن الشكر لجميع الالهة لأنهم يحفظونك من السوء اتوسل اليك يا مولاى اذا راق لك ذلك ، أن ترسل فى طلبى ، والا فانى أموت لأننى لا اراك كل يوم ليته كان فى استطاعتى أن أطير وآتى اليك وأسجد عند قدميك فأنا فى هم وضيق لعدم رؤيتى اياك . ليصف قلبك اذن من ناحيتى ولترسل فى طلبى والسلام . ان كل شيء عندنا يامولاى على ما يرام (١) أبيب ٢٤ » .

وقد اهتم كبار رجال الأسرة بشئون اسرهم واحوالهم المالية وتأمينها لهم قبل انتقالهم الى العالم الآخر . ومن الوثائق الخاصة بهذا الموضوع تلك الوصية التى أوصى فيها صاحبها ابناءه الرجال الثلاثة بأن يدفعوا لأختهم وأولادها راتبا سنويا وأن يستمروا فى اداء هذا الراتب لأبنائها بعد موتها .

ولم تكن الحياة الأسرية المصرية كلها صفاء ومودة ورحمة اذ لم تخل من الخلافات بين أفرادها فنطالع معا هذه البردية .

« نسخة من شكوى قدمها سرابيون الى هيراكليديس

(١) P. Brem. 63.

مدير اقليم هرموبوليس من سرابيون الذى يدعى هرمايوس ابن سرابيون المشرف السابق على التعليم والمدير السابق لمعهد التربية « ... انه بسبب اختلافى مع والدتى يواديمونيس ابنة يودايمون الأكبر بن سوتاس على الأملاك التى تركها لى والدى طبقا لما جاء فى الوصية التى تركها . لقد جارت على والدتى بدون وجه حق واستولت على كل الأثاث وادوات النجوم بل اكثر من هذا اذ هجمت على بمساعدة زوج أختها سيرنيوس الذى يدعى ايضا تيبريوس المدير السابق لمعهد التربية ، رغبة منهم فى ان يحرمونى من املاكى ، لذلك اتقدم بهذه الشكوى راجيا أن تسجل كدليل (ضدهم) حتى أقوم باتخاذ الاجراءات اللازمة لاعادة حقى .. » (١) .

هذا الى جانب وجود الخلافات بين افراد المجتمع نفسه . لنتوقف لحظات عند هذه الشكوى — التى قدمتها احدى السيدات وفيها تقول :

« لقد جمع ... الجزء الأكبر من محصول ارضى من الطاحونة العامة بقرية تيسيخيس لذلك أرجوك ان تصدر أوامرك ان امكن الى رؤساء القرية والشيوخ وحارس القانون لكى يرغموا والده بسنيميجيوس على ان يأخذ ما تبقى من المحصول الموجود فى طاحونة الغلال ويعطينى مقابله وذلك حتى أستطيع أن أفى بالتزاماتى

(١) P. Ryl, Vol. II. No. 116 (A.D. 194).

تجاه الخزانة . لذلك ارجوك مساعدتى السنة الحادية عشرة من حكم الامبراطور قيصر تراجان هادريان اغسطس (٢١) من أبيب . قدمت هذه الشكوى من هرميون ابنة ديونيسيوس عن طريق وكيلها مينودوروس (١) .

« من كورنيليوس الى حارس القانون · ينبغى عليك ان تقوم بتحقيق ما ورد فى هذه الشكوى عند وصولها اليك » .

وكانت هذه الشكوى من شكاوى البردى الصادقة لانه ثبت صحتها حين قام حارس القانون بالتحقيق فيها .

احتلت المرأة مكانة طيبة فى مجتمع ذلك العصر سيما فى الأسر الثرية اذ نالت قسطا من التعليم وكانت لها شخصيتها المستقلة فى استغلال اموالها كما امتلكت الأملاك وعقدت العقود واجرت الأراضى وقد تولت بعض السيدات منصب مديريات معهد التربية « الجمنازيوم » وكانت الأسرة المصرية ولا تزال تفضل انجاب الذكور عن الأناث كما استخدمت المربيات فى تربية الأطفال فى الأسر الثرية اما الأسر الفقيرة فقد كانت تتخلص من أولادها فى بعض الأحيان خاصة اذا كن من الأناث وهذه العادة ترجع اصلا لعوامل الضيق الاقتصادى .

(١) P. Ryl, Vol. II, No. 122 (A.D. 127).

ويبدو أن عقود الزواج الرسمية كانت قاصرة على ارقى الطبقات الاجتماعية من الرومان والسكندريين واليونانيين . اما المصريون فقد كان لديهم عقود زواج مكتوبة ولكن لم تكن تسجل تسجيلا رسميا . ومن المحتمل ان كلا من اليونانيين والمصريين لم يسجلوا ميلاد أطفالهم فى سجلات خاصة بذلك منفصلة عن وثائق التعداد العام فى تلك الفترة على عكس الرومان الذين كانوا محتما عليهم أن يقوموا بتسجيل أطفالهم من الذكور والاناث فى مدى ثلاثين يوما من ميلاد الطفل لدى والى الاسكندرية فى وثائق خاصة بذلك وكانت هذه الشهادات تكتب وتعلق فى بعض الأماكن العامة فى الاسكندرية مثل السوق الأوغسطى ولهذه الشهادات أهميتها اذ كانت تثبت لصاحبها تمتعه بحقوق المواطنة الرومانية .

استخدم العبيد والاماء فى الأسر الثرية وكان بعضهم من اصل مصرى والبعض الآخر من اصل يونانى وازداد عددهم بازدياد ثراء اهل المنزل فقد كان لدى سرابيون وهو احد كبار الملاك فى مصر الوسطى أكثر من (٧) عبيد (١) . وكان يتم شراء وبيع العبيد فى أسواق المدن . وانحصر عملهم فى الخدمة فى المنازل ونسج

(١) عن ثراء هذه الأسرة راجع المقال التالى :

J. Schwartz, « La terre d'Egypte au temps de Trajan et d'Hadrien, archive de Sarapion », Chronique d'Egypte, XXXIV, 1958, p. 352.

الملابس وتربية الأطفال والعمل فى الحقول وادارة اعمال الملاك .

وقد عاشت بعض الأسر فى مصر الرومانية حياة لا تخلو من الترف فقد كان لدى أسرة سرابيون عبيد كثيرون كما كان لديهم طاة ومربية للأطفال وبستانى ومحام وطبيب خاص . وكان منزلهم فى الاقليم كبيرا اذ اتسع لثلاثة أجيال متعاقبة .

ولم تخل الحياة من الاحتفالات والمناسبات السارة التى تخفف من قسوة الحياة ورتابتها فى ذلك الوقت ومن اهمها حفلات الزواج التى كانت لها عادات وتقاليد خاصة . ومنها ارسال الدعاوى المكتوبة للمدعوين قبل موعد الاحتفال كما يبدو أن تناول طعام العشاء كان يكون جزءا رئيسيا من الاحتفال واليك نموذجا من دعاوى الزواج وهى من اكسير نخوس البهنسا حيث يقول صاحبها « يتشرف دينوسيوس بدعوتك للعشاء غدا الثلاثين بمناسبة الاحتفال بزواج اطفاله « أبنائه » فى منزل اسخيريون فى الساعة التاسعة » . وكانت الراقصات والمغنيات والموسيقيون يحيون هذه الحفلات البهيجة وتشير احدى الوثائق الى استخدام مجموعة من الفنانين لمدة خمسة ايام نظير (٣٦) دراخمة فى كل يوم الى جانب حصولهم على ثلاثين رغيفا من الخبز واربعة

قدور من الزيت مع تيسير وسائل انتقالهم (١) . وكثرت المجاملات فى مثل هذه المناسبات الخاصة وكان الأهل والجيران والأصدقاء يقدمون الهدايا العينية والنقدية لأهل العروسين . وتعتبر هذه الهدايا دينا ينبغى رده فى الحالات المماثلة وكان مسموحا بالطلاق والزواج لأكثر من مرة لكلا الطرفين فى كل الطبقات . كما أقيمت الاحتفالات الخاصة بمناسبة دخول الأبناء الجمنازيوم أو تخرجهم منه .

والى جانب هذه المناسبات الخاصة اقيمت الاحتفالات العامة فى مصر وخصوصا فى الأعياد الدينية مثل عيد الاله سيرابيس (٢) . هذا الى جانب الاحتفالات التى كانت تقام بمناسبة زيارة الأباطرة وكبار الشخصيات الرومانية لمصر . كما أقيمت المباريات والمسابقات الرياضية فى كل أنحاء الاقاليم المصرية وخاصة فى العاصمة فى الاسكندرية هذا الى جانب النشاط المسرحى فى المسارح فى مدينة الاسكندرية ومن المحتمل أن سكان المدن فى أنحاء مصر كانت تسنح لهم الفرصة من حين لآخر بمشاهدة الروايات الشعبية المضحكة والأدوار

(١) A.C. Johnson, Roman Egypt to the reign of Diocletian, Baltimore, 1936, p. 299, P. Flor. 74 (A.D. 181); J. Schwartz, Les Archives de Sarapion et des ses Fils, une Exploitation Agricole aux Environs d'Hermoupolis Magna (de 90 à 133 D.C.), Le Caire, 1961, pp. 332-333.

(٢) P. Sarapian, No. 89c, P. Vind, 19772.

الهزلية فى المسارح المحلية او قاعات الموسيقى التى كانت تجرى فيها المسابقات الموســـيقية بين الفنانين . ومن المحتمل أنه كان هناك فرق متجولة فى انحــاء الريف للموســـيقى والرقص والألعــاب البهلوانية للترفيه عن الفلاحين .

وعلى الرغم من ان الرومان عملوا على كبح جماح السحرة والمنجمين على اعتبار أنهم الممثلون الرئيسيون للديانة المصرية القديمة فقد لجأ كثير من الأفراد للسحر لحل مشـــاكلهم والتخلص من اعــدائهم وصــب اللعنة عليهم ، كما حرصوا على زيارة المزارات الدينية الكبرى للتبرك بها (١) . واستشاروا النبوءات وخصوصا نبوءة الاله آمون فى واحة سيوة فى كثير من أمورهم .

واهتم سكان مصر بدفن الموتى ولم تكن هذه العادة وليدة العصر الرومانى، ولكنها ترجع الى العصر الفرعونى وما زالت مســـــتمرة الى عصرنا الحديث . وقد أوصى شخص احد عبيده المحررين بأن يذهب فى اليوم المعظم الى قبره فى رمال سيرابيوم .. ويتخذ اللازم المعتــاد للرحيل » .

(١) P. Sarapian, 101, P. Lond. 854.

● **الفصل الثالث :**

الحياة الثقافية

عندما نلقى نظرة على الحياة الثقافية فى مصر فى العصر الرومانى نجد انه كان هناك فرعان من الثقـافة والتعليم .

اولا : التعليم اليونانى

ثانيا : التعليم المصرى

ومن الملاحظ ان التعليم كان خاصا ولم تكن ادارة الولاية مسـئولة عنه لذلك لجأت الأسرة اليونانية الى تعليم اطفـالها عن طريق ارسـالهم الى المدارس الخاصة التى يشرف عليها « معلم » أو أن تحضر المعلم الى المنزل اذا كانت ميسورة الحال ليقوم بتعليم الصغار نظير اجر يدفع له ويبدو أن هـذه الأجور كانت عينية وبعضـها الآخر نقديا . ومن الخطابات الطريفة ذلك الذى توضح فيه صاحبته نوع الأجر الذى كان يتقاضاه المعلم اذ تقول

« ارسل الحمام والدجاج الذى لم نعتد تناوله الى .. معلم هيرايدوس ... حتى يكرس وقته من أجلهـــا » .
ولم يكن التعليم قاصرا على الذكور دون الأناث ولكنه كان يشـــمل كلا الطرفين بل انه كان مختلطا فى بعض مراحله الأولى فلدينا خطاب كتبه تلميذ يقول فيه «أرجوك أن (تطلب ؟) من الوصى ان يمدنى بلوازمى المدرســية ومنها كتاب للمطالعة من أجل هيرايدوس » وهيرايدوس هو اســـم التلميذة وكانت ابنة أحـد مديرى الاقاليم فالخطاب يتضمن اشارة الى نظام التعليم المختلط .

وكان التعليم يبدأ بتعلم الحروف الأبجدية اليونانية، فالمقاطع المكونة من حرفين ، ثم الكلمات الكاملة مقطعــا مقطعا . وكانت اللغة اليونانية هى لغة البلاد الرسمية التى تصدر بها الأوامر والقرارات حتى بيانات الأمبراطور وخطاباته اللاتينية الأصل كانت تترجم الى اللغة اليونانية قبل نشرها فى الولاية . أما اللغة اللاتينية لغة الرومان فقد اقتصر التعامل بها على شـــئون الجيش الرومانى وذلك امر طبيعى لأن غالبيته العظمى كانت من الرومان . وقد أتقن كثير من المصريين المتاعرقين اللغة اليونانية كما أجادها كل من رغب فى الانخراط فى السلك الادارى . وبعد اتقان القراءة والكتابة تدرج منهج الدراســة فى مراحل مختلفة شملت النحو والبلاغة والأدب والرياضة بما فى ذلك المقاييس والفلسفة . وكلف التلميذ بكتابة موضوعات انشـــائية . وفى مرحلة تالية بكتابة نموذج

لبعض الخطب في موضوعات مختلفة الى جانب دراسة بعض القصص والأساطير الاغريقية . ويبدو ان المدرسين اهتموا بالناحية الأخلاقية ويتضح ذلك من كثرة الحكم والأمثال وكان بعضها من النوع التهكمي الساخر . وظل هوميروس (١) حجر الزاوية فى نظام التعليم اليونانى : وتقول ام فى خطاب الى ولدها « لقد حرصت على الكتابة اليك لاستفسر عن صحتك واعرف ماذا كنت تقرأ ؟ فقد قال لى المدرس انه الكتاب السادس » فلم يكن هناك ما يدعو الى تحديد الاسم لأنه كان معروفا انها تقصد الكتاب السادس من الالياذة . والى جانب ذلك كان التلاميذ يدرسون كتاب القصص التمثيلي والتراجيدى منه والكوميدى وائمة الشعر الغنائى وبالطبع الخطباء (٢) .

واستخدم التلميذ فى المراحل الأولية من التعليم شقافات الفخار والألواح المغطاة بالشمع لأنه كان يسهل عليه استخدامها اكثر من مرة وايضا الواح الاردواز الى جانب اوراق البردى المستغنى عنها للكتابة على ظهرها . اما شباب الجمنازيوم فالى جانب تدريباتهم الرياضية

(١) هوميروس اعظم شعراء الاغريق فى القرن التاسع/الثامن قبل الميلاد – كتب ملحمتى الالياذة والاوديسا راجع : لطفى عبد الوهاب : هوميروس تاريخ حياة عصر ، الاسكندرية ١٩٦٨ .

(٢) P. Collart, A l'école avec les petits Grecs d'Egypte, Chronique d'Egypte, II, 1936, pp. 489-507.

فقد تلقوا البيان والموسيقى . وبعد ان يتم التلميذ المراحل الأولى من الدراسة كان فى استطاعته اذا رغب أن يلتحق بجامعة الاسكندرية العتيقة وتشمل مؤسسات الثقافة فى الاسكندرية كلا من المكتبة والموسيون وقد ظلتا تلقيان التشجيع والتأييد من الأباطرة ، كما استمر العلماء يلقون العطاءات والامتيازات المختلفة كالاعفاء من الضرائب وتناول الطعام فى الموسيون دون مقابل (١) .

ويجب أن نذكر أن الموسيون كان بمثابة اكاديمية للبحث وليس جامعة للتدريس وبها قاعات يجتمع بها العلماء ويتباحثون فيها وحين زار الأمبراطور هادريان مصر زار الموسيون واشترك فى مناقشات مع العلماء وقد عين الأمبراطور عددا كبيرا من الأساتذة والفلاسفة ومنهم من كانوا من الفلاسفة المتجولين الذين يقومون خارج الاسكندرية فكانوا أشبه بأعضاء مراسلين للموسيون ، كما اصبحت العضوية فيه شرفية بالنسبة للكثير من الشخصيات البارزة مثل كبار رجال الادارة والجيش والأبطال الرياضيين .

وكان الموسيون وثيق العلاقة بالمكتبة التى انشأها البطالمة وكانت لها شهرة عالمية حتى انه حينما احترق

(١) يجد القارىء قائمة بكل الوثائق المتعلقة بالتعليم فى مصر حتى العصر البيزنطى فى المقال الطويل الآتى :

G. Zalateo, « Papiri Scolastici », Aegyptus 41, 1961, pp. 160-235.

جزء منها بسبب الحريق الذى نشب فى اسطول يوليوس قيصر فى الميناء قرر انطونيوس تقديم التعويض اللازم لكليوباترة بعد ذلك باهدائها ٢٠٠٠٠٠ مجلد من مكتبة مدينة برجامون فى آسيا الصغرى . وقد استمر للمكتبة امناؤها من العلماء البارزين الذين اهتموا بأمرها طوال العصر الرومانى . ولكننا لا نسمع عن اهتمام الأباطرة والولاة بتنمية المكتبة كما كان يفعل البطالمة من قبل . ومع ذلك فقد بقى للمكتبة الكبرى التى كانت ملحقة بمعبد السرابيوم شهرتها وكذلك المكتبة الصغرى الملحقة بمعبد القيصرون .

ولم تقتصر الحياة العلمية والثقافية فى الاسكندرية فى العصر الرومانى على الموسيون والمكتبة بل وجدت مدارس وقاعات للدراسة يدرس بها من شاء من هؤلاء العلماء أو غيرهم وكانت هذه المدارس والقاعات تكون ما يمكن أن يسمى بجامعة الاسكندرية كما تفهم الآن معنى الجامعة . وكان يقصد هذه المدارس كثير من الطلاب من الاسكندرية ومصر عموما ومن خارج مصر أيضا .

ويعطينا خطاب كتبه طالب يحتمل ان يكون مقيما فى الاسكندرية فكرة واضحة عن عقلية الطالب الجامعى القديم . ومع أن مضمون الخطاب مفهوم الا أن كاتبه للأسف لا يذكر لنا شيئا عن مقرر دراسته وليس ثمة ما يدعو الى ان نحمل حكمه على التدريس محمل الجد

حين يقول « أما عن نفسي ، فلو انني وجـــدت بعض المدرسين الأفاضل ، لما كنت والله نظرت الى ديروموس حتى من بعيــد ان ما يدخــل اليأس على قلبي هو ان ذلك السيد الذى لم يكن سوى معلم ريفى ، يعتبر نفسه ندا لبقية المدرسين ولما كنت أعلم ــ بغض النظر عما اتكبده من مصروفات باهظة تذهب هباء ــ انه لا خير يرجى من المدرس ، فانا اعتمد على نفسى » اما الراغبون من الطلبة فى تعلم المواد الخاصـــة كالاختزال الذى كانت تتطلبه حاجة العمل فى المحاكم والمصالح الحكومية فكانوا فيما يبدو يتتلمذون فترة معينة على يد معلم يلقنهم اصول الحرفة .

واختلف نوع الانتاج الفكرى الذى اشـتهرت به الاســـكندرية فى العصر البطلمى عن مثيله فى العصر الرومانى . فقـد اشـتهرت اسـكندرية البطالمة بالأدب ودراســاته وكذلك بالبحث العلمى الذى اثر احيانا على الانتاج الأدبى . أما اسكندرية العصر الرومانى فلم تحافظ على تقدمها الأدبى ويبدو أن السبب الجوهرى وراء ذلك يرجــع الى احتفاء القصر الملكى فى الاســكندرية بنهــاية البطالمة افقد الشعراء التشجيع الكافى لبعث الهامهم . لذلك كان شعر هــذه الفترة عبارة عن كلام منظوم بعيد كل البعد عن الشعر الراقى واصطبغ هذا النظم بالصبغة العلمية فراح الشعراء يظهرون مهاراتهم فى نظم قصائد جغرافية فى وصف ليبيا أو فى وصف الواحات .

أما فى مجال العلم فقد حافظت مصر على حمل مشعل التقدم فيه واشهر علماء هذه الفترة هو بطليموس الجغرافي الذى اشتهر كثيرا بين العرب فيما بعد وهو من أبناء مصر فى القرن الثانى الميلادى ولم يكن بطليموس جغرافيا فقط بل كان رياضيا مجددا الى جانب كونه فلكيا وعالما طبيعيا لذلك درس الجغرافيا على اساس رياضى وفلكى . هذا العمل العظيم الذى انجزه بطليموس قفز بعلم الجغرافيا قفزة كبرى فى الاتجاه الصحيح ، كما أن اخطاءه ذاتها كانت لها قيمتها لأنها اصبحت فيما بعد بمثابة نقط ارتكاز لتصحيح معلوماتنا الجغرافية واصبح عمله خير ممهد لقيام علم الجغرافيا الحديثة .

ولكن أشهر ما تميزت به الاسكندرية فى هذا العصر هو الحركة الفلسفية التى عرفت بها مدرسة الاسكندرية وأول فيلسوف لمدرسة الاسكندرية هو فيلون اليهودى الذى عاش فى القرن الأول الميلادى وأيضا الفيلسوف افلوطين وكان من ابناء أسيوط فى صعيد مصر فى القرن الثالث م .

ولم يقتصر التعليم اليونانى على الأسر اليونانية الثرية فحسب بل امتد ليشمل كل من أدرك قيمته وأهميته فى المجتمع . أما الغالبية العظمى من المصريين فلم يكن لهم حاجة اليه لذلك كانت الأمية فيهم متفشية وبينهم منتشرة ، وكان الحقل هو مدرسة الطفل الأولى وجامعته الأخيرة وليس معنى هذا أن اللغة والثقافة

المصرية الفرعونية قد أسدل عليها الستار ولكنها كانت كالنبع تحت القشرة اليونانية فلم يستطع الاحتلال اليوناني أو الروماني أن يغير من لغة المصريين وخاصة أهل الريف منهم فظلت كما هي وكتبت هذه اللغة المصرية بالخط الديموطيقي الذي استحدثت فيه حروف منحدرة من حروف الكتابة الهيروغليفية . الا أن هذه الكتابة كانت في طريقها الى التجمد بسبب خلوها من الحروف المتحركة مما كان يمنعها من تقبل أي جديد كما كان اتقانها يحتاج الى جهد كبير ثم استطاع المصريون أن ينقذوا لغتهم ويطوروها حين اتخذوا الحروف اليونانية لكتابتها مع اضافة ستة حروف من الكتابة الديموطيقية وهكذا ولدت اللغة القبطية في القرن الثالث الميلادي وانطلقت اللغة من عقالها لتنقل الفاظا وافكارا جديدة ، ولتخرج بعد ذلك فكرا وأدبا جديدا . وكان أول وأعظم أعمال اللغة القبطية الجديدة أنها نقلت الانجيل الى المصريين في لغة مصرية وثوب مصري . ولعل هذا من الأسباب التي جعلت المسيحية تنتشر بين المصريين جميعا كعقيدة شعبية .

وقد تخصصت المعابد المصرية في التعليم الديني الذي كان يهتم به بعض المصريين ، وارتكز أساسا على تعلم اللغة والكتابة المصرية وطقوس الديانة .

● الفصل الرابع :

النشاط الرياضي

ازدهرت الرياضة في مصر وكان الجمنازيوم هو معقلها الرئيسي (١) . وقد اولى الأباطرة هذا الجانب من النشاط بعض اهتمامهم وتشجيعهم ، ولم يخل هذا الاهتمام وذلك التشجيع من الهدف السياسي . فعن طريق اقامة المهرجانات الرياضية كان يمكن الربط بين مختلف انحاء الامبراطورية وربما كان هذا التشجيع احد اركان السياسة الامبراطورية . وقد انعكست هذه السياسة على مصر ووضحت فيها . لذلك سوف نبدأ الحديث عن أهم المؤسسات الرياضية في مصر وأعني الجمنازيوم الذي تخرج منه أبطال الرياضة في مصر الرومانية .

لقد انشيء معهد التربية في العصر البطلمي في اى مكان وجد به عدد كاف من اليونانيين . ويبدو أن هذه

(١) Glanville (S.R.R.), The Legacy of Egypt, Oxford, 1957, p. 269.

المعابد كانت خاصة ثم شملها الملوك برعايتهم . ومن المحتمل أن أغسطس قد ألغى منها ما كان موجودا بالقرى ، ولكنه منح معاهد عواصم الأقاليم ومديريها صفة رسمية ويعتبر الجمنازيوم من أبرز ملامح الحضارة الاغريقية فى مصر ومن أهم مميزات عواصم الأقاليم وضم هذا المعهد كل الاغريق بمقتضى حق المولد . وكان منصب مدير معهد التربية أهم المناصب البلدية جميعا وعلى رأسها لذلك خصص لصاحبه أربعة حراس مثل مدير الاقليم كما كان يرأس نقابة حكام المدينة قبل انشاء مجالس الشورى فى عواصم الأقاليم سنة ١٩٩/٢٠٠ م .

وضعت شروط معينة لتولى هذا المنصب الهام وتتلخص فى أن شاغله لابد أن يكون أحد مواطنى المدينة الاغريق . وقد احتفظ بالمنصب دائما لأثرياء الأقاليم حتى يكون فى استطاعتهم تحمل أعبائه المالية وقد تولت السيدات هذا المنصب فى بعض الأحيان (١) ولدينا أسماء عشرين سيدة حصلن عليه فى مصر فى العصر الرومانى ولم يقتصر الأمر على مصر فحسب بل لقد تولت احدى السيدات منصب مديرة المعهد فى ولاية قورينه (برقة بليبيا) .

وتمثلت شارات المنصب فى ارتداء عمامة ذات حافة معينة وانتعال الحذاء الأبيض عند بداية ممارستهم لمهام منصبهم بعد حفل التتويج الذى يشترك فيه مدير الاقليم .

(١) Johnson, op. cit., 416 (A.D. 107), P. Amh. II, 64.

ويبدو انه كان هناك أكثر من مدير للاشراف على معهد التربية فى بعض الأحيان كما تشير الى ذلك بعض الوثائق البردية . ويدل تعدد المديرين على ثقل أعباء هذا المنصب . وبلغت مدة شغل هذا المنصب سنة .

وساعد مدير المعهد مجموعة من الحكام والموظفين للاشراف على أوجه النشاط الثقافى والرياضى بالمعهد فكان الرقيب يقوم بفحص المستندات التى تقدم للانتماء الى الشبيبة بمعهد التربية كما كان المشرف على التعليم يشرف على تعليم الشبيبة ونشاطهم الرياضى، كما اختص موظف آخر بالاشراف على مد المعهد بالزيت والوقاد للاشراف على وقود الحمامات . ومن المحتمل وجود عدد أكبر من الموظفين بالمعهد كان عددهم يختلف تبعا لحجم كل معهد وأهميته .

كان لكل جمنازيوم أملاكه وأوقافه الخاصة وعلى رأسها دار المعهد نفسه . وتكونت املاك المعهد على مر الزمن من هبات الخيريين التى كانوا يدفعونها للانفاق عليه . ويبدو أن الحكومة كانت تقدم لمعاهد التربية بعض المساعدات خلال القرن الأول لأن دخل المعهد لم يكن يغطى كل نفقاته هذا الى جانب اشتراك مديرى المعهد فى سد بعض النفقات . وقد بلغ ما انفقه أحد المديرين على المعهد اكثر من ٤ تالنت (١) خلال مدة شغل منصبه . لذلك

---

(١) التالنت = ٢٤٠ جنيها .

رفض بعض الأشخاص تولى هذا المنصب لثقل أعبائه وفى هـذه الحالة كان لابد على كل منهم أن يتخلى عن ثلث ممتلكاته لآخر يقوم بأعباء هذا المنصب •

ويمكن تقسيم أوجه الصرف على معهد التربية على النواحى التالية :

اولا : امـداد المعهـــد بالزيت والمراهـم وتوزيعهـا على الأفراد •

ثانيا : تدفئة الحمامات التى كانت من اهم منشآت المعهد ومدها بالوقود وخصوصا فى فصل الشتاء وقد وقع أحد مديرى المعهد عقدا لتدفئة الحمامات لمدة سنة قبل بدء شغل منصبه بفترة طويلة وذلك نظير مبلغ (٢٠٠٠) دراخمه واشـترط المدير فى العقد أن تصل درجة حـرارة الحمـامات الى درجة التدفئة يوميا •

ثالثا : مد المعهد بمساريج الزيت او الشموع لاضاءته

رابعا : خصص جانب من الدخل لمد المعهد بالمياه • وربما كانت هناك قناة توصل بين خزان المدينة وبين المعهد فى عاصمة كل اقليم لتادية هذا الغرض •

خامسا : شراء الأدوات الموسـيقية اللازمة للنشـاط الموسيقى •

سادسا : الانفاق على أوجه النشاط الرياضى • ولقد كان

هذا الجانب مزدهرا فى العصر الرومانى وقد تفوق كثير من الرياضيين فى مصر من الذين اشتركوا فى المباريات الداخلية والخارجية وقد منح هؤلاء الأبطال امتيازات مالية وادبية كمكافاة لهم على تفوقهم • ويمثل امتيازهم المادى فى منحهم مرتبات شهرية تراوحت بين ١٨٠ ـ ٢٠٠ دراخمة شهريا(١) أما مكافأتهم الأدبية فانحصرت فى الاعفاء من الأعباء والالتزامات العامة وأولادهم . وقد منح احدالأبطال حقوق المواطنة السكندرية تقديرا لبطولاته الرياضية كما حصل آخر على العضوية الشرفية لكثير من المدن الداخلية والخارجية الى جانب عضوية مجلس شورى الاسكندرية وغيرها من المدن • كما فتحت الرياضة أمام مواطن آخر الباب لتولى منصب المشرف الامبراطورى • واشترك أحد أبطال الملاكمة فى الجمعية الهادريانية الانطونينية الرياضية (أى الدولية) المقدسة لاتباع هيراكلييس والمشمولة برعاية الامبراطور سيفروس • وكان مركزها نابلى • وبلغ رسم الاشتراك فى عضويتها مائة دينار وهو مبلغ لا يستهان به فى تلك الفترة ـ كما فاز رياضى آخر بتاج المصارعة فى احدى مسابقات مدينة أزمير وأحرز آخر بطولة الألعاب الأوليمبية التى أقيمت فى مدينة صيدا بلبنان وانتصر آخر فى احدى

(١) C. Wessely, Corpus Papyrorum Hermopolitanorum, Leipzig 1905, Nos. 54, 56, 69, 72, 73.

البطولات الرياضية التى اقيمت فى غـزة ـ كمـا أقيمت المبـاريات الرياضية الداخليـة على مستوى القطر بأكمله · وكان يجرى فيها مسابقات حـول عديد من المبـاريات من أهمهـا السـباق الطـويل والسباق المزدوج وهو الذى كان يصل فيه المتسابق لنقطة النهاية ومنهـا يستدير الى نقطـة البداية · كما اقيمت مسابقات للخيول والملاكمة والمصارعة · ومما لا شك فيه أن الرياضيين كانوا يرتدون ملابس معينة تساعدهم على سهولة الحركة ·

وكانت هذه اللقاءات الرياضية تؤدى الى اتســاع افق الرياضيين الى جانب ربطها انحـاء الامبراطورية بعضها ببعض ·

● الفصل الخامس :

السياسة الدينية

اتبع الرومان سياسة التسامح الدينى فلم يتدخلوا فى بداية الأمر فى المعتقدات الدينية لسائر السكان ، فاحتفظ الاغريق بعبادتهم القديمة ، كما أنهم لم يروا غضاضة فى عبادة الآلهة المصرية واظهار اجلالهم لها منذ وصولهم الى مصر، ويرجع ذلك للأثر الكبير الذى تركته فى نفوسهم بسبب قدم عهدها وغموض اسرارها الى جانب انها تحمى البلاد التى كانوا يقيمون فيها كغرباء • ودرج الاغريق منذ العهد البطلمى على تشبيه آلهتهم بالآلهة المصرية فشبهوا أبوللو بحورس وهرميس ـ بتحوت • وبالرغم من أن هذه التشبيهات لم تقم الا على أدلة سطحية الا انهم قبلوها . وتبع ذلك أن المدن المصرية التى كانت تحمل أسماء الآلهة الفرعونية اصبحت تعرف بأسماء مرادفاتها الاغريقية مثل مدينة هيراكليوبوليس نسبة الى الاله هرقل ومدينة

هرموبوليس نسبة الى الاله هرميس اليونانى (١) . كما لم يجد اليونانى حرجا فى دخول المعابد المصرية وتقديم القرابين للآلهة المصرية على أساس تشبيهها بآلهتهم الاغريقية .

ظل المصريون على ولائهم لآلهتهم القديمة . وقد تطلب هذا من أقطاب المسيحية الأوائل جهودا جبارة للقضاء على عبادة الحيوانات فى مصر وتهديم معابدها . وتشهد جدران المعابد المصرية على المحاولات التى بذلت لمحو صور الآلهة المصرية . وبالرغم من سياسة الرومان فى التسامح الدينى الا أنهم قلموا أظافر الكهنة المصريين واستولوا على كثير من أملاك المعابد المصرية لأنهم أدركوا أن هذه المعابد بثرواتها الضخمة تعتبر معاقل الثورات الوطنية وقياداتها المخلصة ــ لذلك نقلت ادارة أراضى المعابد الى يد بعض موظفى الدولة الذين أصبحوا يتولون تأجيرها بدلا من الكهنة الى جانب ان كثيرا من المعابد أصبحت تعتمد على اعانات الدولة لها فضمن الرومان بذلك عدم تمرد الكهنة (٢) . وتحقيقا لنفس الهدف نقلت ادارة أراضى المعابد لبعض موظفى الدولة الذين أصبحوا يتولون تأجيرها بدلا من الكهنة لأن توزيع السلطة أقل خطرا من تركيزها

---

(١) عن الآلهة اليونانية راجع : عبد اللطيف أحمد على . محمد صقر خفاجة : أساطير اليونان القاهرة (١٩٥٩) .

(٢) وعن سياسة الرومان تجاه الكهنة انظر :
Wallace, op. cit., pp. 238-254.

فى يد رجل واحد · وسيرا على نفس السياسة وضع أغسطس موظفا رومانيا اداريا للاشراف على كل ما يتصل بالديانة والمعابد فى مصر وكان يلقب بلقب « الكاهن الأعظم للاسكندرية وكل مصر » ·

وبالرغم من هذه القيود التى كبلت بها الديانة المصرية الا ان عبادة الثالوث المقدس المكون من سيرابيس وايزيس وهربوكراتيس قد امتدت بسرعة البرق لتنتشر فى كثير من أنحاء الامبراطورية وخصوصا عبادة ايزيس بل لقد غزت عبادة ايزيس روما نفسها قبل أن يفتح اغسطس مصر وقد فاقت في اتساع امبراطوريتها روما ذاتها بل لقد أعلن الامبراطور دوميتيان (٨١/٩٦) ادخال عبادة سرابيس وايزيس رسميا الى روما حيث أنشأ معابد لها فى روما · ولقد تعدت عبادة ايزيس حدود الامبراطورية نفسها فى ركب تجارة الاسكندرية وليس أدل على ذلك من بردية مشهورة من البهنسا ترجع الى القرن الثانى تذكر الأماكن التى انتشرت فيها عبادة ازيس فى أرجاء المعمورة هذه الأماكن تشمل معظم مدن مصر اذ أن هناك ذكرا لسبع وستين مدينة فى الدلتا فقط ، أما خارج مصر فتذكر الاسماء خمسة وخمسين مدينة · ومن دراسة هذه البردية تبين أن سلطان الالهة ايزيس شمل الهند وبلاد العرب وفارس شرقا وسينوب على البحر الأسود شمالا وروما وايطاليا غربا ·

الى جانب هذا الثالوث حلت فى مصر عبادة الأباطرة

الرومان محل عبادة البطالمة ، ولـكن يجب أن نذكر هنا ان الاباطرة عبدوا على أن اشـــخاصهم مقدســـة وليس بوصفهم آلهة • وكانت العبادة قاصرة على الأباطرة بعد موتهم • فكان لهم كاهن فى الاسكندرية واقيمت تماثيلهم فى معابد الآلهة الكبرى ولم تفرد لهم معابد خاصة ولكن بقيت عبادة الأباطرة عبادة رسمية تمارس فى المناسبات العـامة دون أن يكون لهـا طابع شـــخصى أو تعبد فى البيوت •

المسيحية فى مصر :

ظهرت المسيحية فى الجزء الأخـير من القرن الأول قبل الميلاد وعلى الرغم من أن هذا الحدث كان من اخطر أحـداث التاريخ وأكثرها تاثيرا فى ســـير الحياة بكل مظاهرها بعد ذلك (١) • الا أن ظهورها اكتنفه كثير من الغموض حتى اننا لا نعرف كيف نشأت ومتى انتشرت على وجه التحديد ــ ومن الراجح أن وصولها الى مصر كان مبكرا وذلـك لأن الاسـكندرية كانت مدينة كبيرة لهـا اتصالات واسعة بكثير من بلدان العالم القديم • حقيقة لا يوجد ما يثبت وجود المسيحية فى مصر خـلال القرن الأول الميلادى ولكن ليس بمستغرب أن تسرى المسيحية

---

(١) من البيئة الدينية فى مصر قبل المسيحية وعند ظهورها انظر الكتاب الثانى :

H.I. Bell, Cults and Greeds in Graeco-Roman Egypt, Liverpool, 1953.

من فلسطين وسوريا الى مصر في ركب التجارة أو في موكب الجيوش عن طريق البر والبحر ويروى يوسيبيوس أعظم مؤرخي الكنيسة الأوائل ـ والذى عاش فى القرن الرابع الميلادى يرون أن القديس مرقص نفسه حضر الى مصر وأنه بشر للدين الجديد بالاسكندرية في أواسط القرن الأول الميلادى وتروى احدى أساطير القديس مرقص ان أول أتباعه كان اسكافيا يهوديا . ويؤدى هذا أيضا ان أوراق البردى حفظت لنا نصا من انجيل يوحنا ويرجع تاريخه للنصف الأول من القرن الثاني • هذا الى جانب العثور على انجيل مسيحى جديد غير الاناجيل الأربعة المعروفة • ويرجع الى نفس التاريخ تقريبا • هذه النصوص المسيحية المبكرة لها دلالتها رغم ندرتها •

لكن ما هو السبب في قلة الاشارة الى المسيحية بين عشرات الآلاف من الوثائق التى تحت أيدينا من القرن الأول والثانى الميلادى . من المحتمل أن ذلك يرجع الى أن المسيحيين كانوا مضطرين لاخفاء ذلك نظرا لاضطهاد الرومان للمسيحية ولكن ليس هناك ما يدعونا الى الاعتقاد بأن ذلك هو السبب الوحيد لأن العقود القانونية والاقرارات المقدمة الى السلطات التى تمثل أغلب الوثائق التى لدينا لم تكن تقتضى ذكر المسيحية• كما أن الرسائل الخاصة بها غالبا ما كانت تصاغ فى عبارات تقليدية وتدور عادة حول شئون مصلحية بحتة ، فلا تستدعى هى

الأخرى الكلام عن العقيدة . ومن الخطأ الاعتقاد بأن الاضطهاد كان حملة متصلة أو أن الحكومة الرومانية اضطهدت المسيحيين بسبب عقائدهم الدينية بالتراث . فقد كانت روما متسامحة كل التسامح فى المسائل الدينية ولم تحاول ان تستاصل اى عبادة جديدة الا بحجة منافاتها للمبادىء الأخلاقية أو تعارضها مع السياسة العامة. كان المسيحيون فيِنظر السلطات مواطنين أشراراً وعنصرا خطرا في المجتمع لأنهم كانوا يترفعون عن ممارسة شعائر الديانة الرسمية ، ولا يقدسون صور الأباطرة . ولا يشتركون في عبادة روما المؤلهة أو « الروح الحارسة » للامبراطور وكان فى تضامنهم وخلوتهم وقت التعبد ما يوحى بأنهم جماعة سرية غير أنه كان دائما بين الوثنيين من كانوا مستعدين للتستر على أصدقائهم المسيحيين كما كان حكام الولايات يحجمون أشد الاحجام فى معظم الأحيان عن تطبيق قانون العقوبات عليهم . ولم يكن الاضطهاد عاما الا عند حدوث كارثة قومية أو هياج شعبى .

استطاعت المسيحية أن تشق طريقها ببطء وأصبح لها مفكروها فى مدينةالاسكندرية وكان اهمهم هوكليمنيس وتلميذه أورنجنسيس ثم اخذت تنتشر فى الوقت نفسه الى داخل القطر المصرى وكانت الجماعات المسيحية المحلية على اتصال مستمر بالحركة المسيحية بالاسكندرية والتى كانت بدورها واسطة الاتصال مع المسيحية العالمية فى

الخارج . ومن الطريف أن نذكر هنا أن لقب « بابا » أطلق أول مرة على أسقف الاسكندرية هركليس (٢٣٢ ـ ٢٤٩) قبل أن يطلق على رأس الكنيسة فى روما ذاتها .

ولكن رغم هذا النشاط الجم ورغم وجود المدرسة ورئيس للمسيحيين فى الاسكندرية ومصر يدين له الجميع بالولاء والطاعة ، لم تكن حياة المسيحيين سهلة هينة . فلقد كانت حياتهم حلقات متتابعة من الخوف والتعرض لأشد أنواع الايذاء والاضطهاد على يد السلطات الرومانية . حتى اعترف بها الأمبرطور دقلديانوس سنة ٢٨٤ ميلادية وبهذا التاريخ نبدأ عصرا جديدا يطلق عليه اسم العصر البيزنطى .

الباب الثاني

الحياة الاقتصادية

● الفصل الأول :

الزراعة

يعتبر النشاط الزراعى صلب الاقتصاد المصرى على مر العصور . ولما كانت احوال الاقتصاد المصرى وخصوصا الزراعة قد أصابها نوع من الشلل النصفى فى أواخر العصر البطلمى فقد انصب اهتمام الفاتح الجديد على أمرها واصلاح مرافقها . لذلك بدأ أغسطس بتاسيس سياسة اقتصادية زراعية جديدة تختلف اختلافا جذريا عن سياسة البطالمة وتتمركز حول تشجيع الملكية الخاصة والاستثمارات الفردية بأنواعها المختلفة ، وليس معنى ذلك أن الملكية الخاصة لم يكن لها وجود فى العصر البطلمى ولكنها كانت موجودة وكان هذا اتجاها معاكسا لسياسة الحكومة . أما فى العصر الرومانى فقد كانت سياسة الحومة تدفع الملكية دفعا الى النمو والازدهار لخلق طبقة تستطيع أن تتحمل اعباء شغل المناصب أو تدفع تعويضا فى حالة عدم شغلها ونستطيع أن نختزل جوهر النظام

الجديد فى توزيع الأراضى الزراعية ، وقد انقسمت الى نوعين :

اولا : الأراضى العامة وتشمل :

١ ــ **اراضى الدولة** : وكانت تتكون اساسا من الأراضى الرملية والجزر التى تنشأ فى النهر أو شواطىء النهر التى لم تكن تدخل ضمن اى نوع من انواع الأراضى الأخرى وقد كانت تستخدم فى الزراعة فى بعض الأحيان .

٢ ــ **الأراضى الملكية** : وتشمل الأراضى التى كانت تحمل نفس الاسم فى العصر البطلمى واطلق على مستأجرى اراضى هذا النوع اسم مزارعى الأراضى العامة ونادرا اسم مزارعى الأراضىالملكية . وكان بيع هذه الأراضى وجمع ضرائبها يدخل فى نطاق اختصاص « مدير الحساب الخاص » وكانت الأراضى الفقيرة هى التى تباع فى أول الأمر .

٣ ــ **اراضى المعابد** : وهى الأراضى التى امتلكتها المعابد فى العصر البطلمى وانتزعها منهم اغسطس والحقها بملكية الدولة ووضعها تحت اشراف الموظف الذى كان يدعى (دوئيكتيس) وقد خصص دخل بعض اراضى هذا النوع لاعطاء اعانات لكهنة المعابد وترك جزء منها كمنحة لكهنة المعابد .

٤ - **اراضى الوسية** : وتمثل هـذا النـوع فى المنح الامبراطورية لبعض افراد البيت المالك والأصدقاء والوزراء مثل ضياع الأمير جرمانيكوس وضيعة جوليا برنيقيا التى وهبها لهـا الامبراطور تيتوس (٧٩/٨١م) . ثم بدأ الأباطرة يصادرون هـذه الأراضى منذ النصف الثانى من القرن الأول لأنهم رأوا أن فى منح نبـلاء الرومان هبات كبيرة قد يساعد على تقـوية شوكتهم مما يجعلهم فى مركز يهدد سلطاتهم بل قد يصل ببعضهم الأمر الى حد التطلع الى العرش . هـذا الى جانب أن منح هذه الأراضى لأفراد يقيمون خارجها يؤدى الى اهمالها ونقص غلتها . لذلك لم يأت عهد الامبراطور تيتيوس حتى كان قد تم استرداد جزء منهـا ومنـح حق استغلالها لطائفة من كبار الزراعيين وكان يشرف على هذا النوع من الاراضى ناظر الضياع الامبراطورية .

ثانيا : أراضى الامتلاك الخاص

وتنقسم الى الأقسام التالية :

١ - **الأراضى الخاصة** : وقد نمى هـذا النـوع فى ظل الرومان وشجع نمو نظام الأعباء على هذا الاتجاه حيث كان من الضرورى أن يكون لدى الشخص أملاك حتى يستطيع القيام بالاعباء الملقـاة عليه ولـكى تشجع الحكومة هذه السياسة خفضت من أثمان بيع الاراضى

كما أدى ثقل الاعباء الى نمو اتجـــاه آخر تمثل فى نقل ملكية الاراضى الخاصة الى السيدات حيث لم يكن فى الاستطاعة مطالبتهن بتأدية الاعمال الالزامية أو ارغامهن على زراعة جزء من الارض بالقوة .

٢ ـ **اراضى الهبات** : وتتمثل فى الأجزاء التى كان يقتطعها الأباطرة من أراضى الدولة ويمنحونها لبعض الأفراد مع الاحتفاظ بحق اسمى فى ملكيتها وكان هـــذا النوع منتشرا فى العصر البطلمى ، ولكن ندر وجوده فى العصر الرومانى .

٣ ـ **أراضى الاقطاعات** : صودر جانب كبير من أراضى الاقطاعات العسكرية وترك الباقى فى يد أصحابها القدامى الذين أعفوا من الخـدمة العســكرية مع فرض ضريبة ثابتة أو تحصيل ايجار محدد يتراوح بين ١ ، ١½ أردب عن كل أرورا (١) . وبيـــع ما صودر منها للأفراد العاديين فى مزاد اذا كان رخيصا أو بيع ما يكون منها غير خصب بدون مزاد بسعر ٢٠ دراخمة للارورا الواحدة مع الاعفاء من الضرائب لعدة سنوات على أن يلتزم المشترى أو ورثته بعد ذلك بدفع أردب عن كل أرورا كضريبة سنوية .

(١) الفدان الرومانى (أرورا) يساوى حوالى أربع أخماس الفدان المصرى .

٤ ـ **أراضي الاقطاعات العسكرية البطلمية** : كان هـذا النوع امتدادا لنظيره في العصر البطلمي لكن لم يعد له أي صلة بالعسكريين . وكانت تعتبر بمثابة أراضي امتلاك خاص وان أصبح التصرف فيها يخضع لاجراءات خاصة ، ولها سجل خاص أيضا ، وقد تمتع أصحابها بامتيازات معينة كالاعفاء من ضريبة الرأس ، كما أن هذه الأراضي لم تخضع للتأجير الجبرى وكان أصحابها يدفعون أردبا واحدا عن الأرورا الواحدة المزروعة قمحا .

٥ ـ **أراضي المدن** : يبدو أن أراضي هـذا النوع كانت عبارة عن هبات وهدايا منحت للمدن كما نشأ بعضها عن طريق المصادرة او من تلك التى لا وارث لها ويبدو أن الامبراطور سبتيموس سيفروس عندما قام باصلاحاته التى شجعت على الاستقلال المحلى (١٩/٢٠٠م) قد منح اراضى للبلديات الجديدة ولم يكن من الضرورى أن تقع أملاك البلدية داخل حدودها المحلية اذ امتلكت بعض المدن أملاكا خارجها . فكان الاسكندرية أراض تملكها فى اقليم أرسينوى « الفيوم ») ولكن يبدو ان هـذه الأراضى لم تكن تخضع للسلطات المحلية وكانت المدينة تقوم بدفع مستحقات الأراضى للحكومة .

٦ ـ **أراضى المستنقعات** : وجد هـذا النـوع فى الدلتا

وكان يشرف على ادارته قسم خاص من الخزانة ، وخصص جزء آخر منهـا للحدائق وجـزء آخـر للغلال . ويلاحظ انخفـاض ضرائب هـذا النـوع بوجه عام . أما نظير هذا النوع في الوادى فقد كان يسمى باسم الأراضى الهامشـية أى التى تقع على هامش الصحراء . وكانت أراضى هذا النوع تؤجر نظير ايجار رمزى وفى حالة بيعها كانت تباع بثمن رمزى .

٧ ـ **اراضى الدخل الخاص** : ليس هناك اتفاق حتى الآن على تحديد هـذا النوع من الأراضى وهى تشـبه الأراضى الملكيـة فى ارتفاع ضرائبها . ويبـدو أن هذا النوع كان يمثل الأراضى التى يتم مصـادرتها لفترة مؤقتة بسبب عدم تأدية التزاماتها . وهـذه الأراضى كانت تظل تابعة لهذا القسم حتى يتم دفع مستحقاتها أو بيعها أو نقلها الى أى نوع من الأراضى السابق عرضها أما دخلها خلال الفترة المؤقتة فكان يئول الى الخزانة (١) .

مسح الأراضى :

كان فيضان النيـل يغير فى بعض ذبذباته الجامحة

---

(١) عن انواع الأراضى فى مصر الرومانية راجع :
Wallace, op. cit., pp. 1-10.

من ملامح الأراضي الزراعية كل عام. اذ كان يطيح بالجسور والجزر التي تقع في وسطه ويغرق أراضي أخرى ويغطيها تماما بالمياه فيحولها الى أراض غير صالحة للزراعة ، كما كان يضن على غيرها بالمياه فلا يصل اليها ويتركها عطشى طوال العـــام ، وأحيانا يعطي ولـــكن بدون سخاء مما يضعف من انتاجهـــا الزراعي ، لذلك كان لابد من اجراء مسح للاراضي لضبطها كل عام حتى يمكن تقدير ضرائبها النقدية والعينية واحتفظ موظفو الادارة بسجلات كاملة عن حالة الأراضي . كما كان يحدث مســح عام للاراضي عند اعادة تأجير الأراضي العامة وأراضي التاج للمستأجرين الى جانب أنه كان في استطاعة أي فرد أن يطلب مســح أراضيه في أي وقت يشاء .

ويختلف فحص الأراضي (episkepis) عن مسحها (anametresis) حيث يتقـــدم الا فـــرادللادارة بطلب لتخفيض الضرائب اما لعدم وصـــول الفيضـــان الى أراضيهم أو لنقصــه أو لزيادته . مما يؤدي الى تغطية الأراضي بطبقة من الأملاح تقلل من خصوبتها أو لتغطيتها بالرمال خصوصا تلك الواقعة على الأطراف بالقرب من الصحراء . وبعد تقديم هذه الاقرارات يقوم كاتب القرية بعملية فحص أولية تراجعها اللجان التي تتكون بعد ذلك والتي لم يكن يشترك فيها بطبيعة الحال . وكان المدير يصدر تعليمات وأوامر في حالات الفيضان الاســـتثنائية لكي يساعد لجان الفحص في تأدية أعمالها .

ولضمان حيـاد لجـان الفحص كان يتم اختيـار أعضائها في بعض الأحيان من قرى اخرى وكان يصاحبها مساحون ليقوموا بمسح الأرض وكثيرا ما اثبت الفحص عدم صحة ما جاء فى الالتماس اذ أن المعلومات التى وردت مبالغ فيها خصوصا بالنسبة للاراضى المرتفعة الضرائب. وليس معنى ذلك أن عمل هذه اللجان كان بالغ الدقة اذ اتهم مرسوم الوالى تيبريوس يوليوس الاسكندرية القائمين على أمرها قبل توليه الحكم انهم فرضوا الضرائب دون مراعاة لحالة الفيضان . وبعد أن تنتهى اللجان من تأدية أعمالها ترسل - نسخا من نتائج فحصها لكاتب القرية ليصحح كشوفه فى ضوئها ، ونسخا اخرى لمدير الاقليم والكاتب الملكى . كما كان يرسل ملخصا عنها الى الادارة المركزية فى الاسـكندرية لتحـديد الضرائب . وكثيرا ما اعتمد كاتب القرية على مجهوده الشخصى فى استكمال كشوفه فيما يختص بتغيير الملكيات وحيـازة الارض . وكان يقوم باحصاء المبانى المقامة على الأراضى الزراعية : وكان يخدم بهذا عملية الاحصاء المنزلى كما كان يجرى من حين لآخر عملية فحص لهذه المنشآت التى تقام على الأراضى الزراعية .

تاجير الأراضى :

نستطيع أن نميز بين طريقتين لاستغلال الأراضى :
الأولى : وتشمل الأراضى العامة والأراضى الملكية واراضى الوسية التى صادرتها الدولة وأراضى المعابد التى

تديرها الدولة والأراضي الخاصـة بقصر . وكان يتم استغلال هذه الأراضي عن طريق المزاد وكان يرسو على من يدفع أكثر من المستأجرين ، ويبدو أنه كان هناك طائفة من مستأجرى اراضى هذا النوع يتوارثون ادارتها واستغلالها . وكان فى استطاعتهم أن يقوموا بتأجيرها من الباطن وتعكس وثائق القرن الثـالث آثار الصعوبات التى واجهتهـا الادارة فى العثور على من يقوم بزراعة الأرض لذلك اضطرت الى ارغام الفلاحين على زراعتها . وقد نفذت هذه السياسة بوسيلتين أولها عن طريق الاجراء المعروف باسم ابيميرزموس ويتلخص فى أنه حيثما وجـدت مساحة واسعة من أراضى الدولة لم يتقـدم احد بطلب تأجيرها بالطريقة العادية . كانت تقسم بين مزارعى الأراضى العـامة فى منطقتـه نظير دفع التزاماتهـا . أما فى حالة عدم اسـتطاعة هـؤلاء المزارعين القيام بهذا العبء فكانت تلحق بأراضى القرى المجاورة ، ويعتبر اهلها مسئولين عنهـا مسئولية جماعية . لذلك كان يذكر فى عقود تأجير كثير من الأراضى الخاضعة انها تخلو من عبء زراعة أراضى الدولة .

والاجراء الثانى هو المعروف باسم ابيبولى وفيـه تلحق بعض أجزاء من الأراضى العامة التى لم يستأجرها

احد بالأراضي الخاصة ويرغم أصحابها على زراعتها وتأدية أعبائها .

أما الأراضي الخاصة فقد كان لأصحابها الحق في التصرف فيها اما بزراعتها أو تأجيرها للآخرين وكثيرا ما اشتركوا في استغلالها وزراعتها وكانوا في كلتا الحالتين مسئولين عن تأدية جميع التزاماتها للدولة . كما كان لأصحابها الحق في التصرف فيها بالبيع والشراء والرهن .

نظام الري وادواته :

الحقيقة الكبرى في كيان مصر انها لا تعتمد على المطر الطبيعي في حياتها الزراعية وانما على ماء النهر . والمعروف انه في البلاد التي تعيش على الأمطار في زراعتها يختزل المجهود البشري الى حده الأدنى وفلاحها واقع دائما تحت رحمة الطبيعة .

أما في بيئة الري فالأمر يختلف كل الاختلاف ، فالوادي منذ فجر تاريخه ليس مصرفا طبيعيا ، فلا زراعة ولا تعمير الا بعد مجهود بشري جماعي ضخم حتى تعد الأرض مجرد اعداد لاستقبال البذور كما انه لابد أن تقام شبكة غطائية كثيفة من الترع والقنوات ولابد من تنظيم عملية توزيع المياه لكي تصل الى كل قطعة ارض في كل أجزاء الوادي . والأراضي التي تصل المياه اليها من النيل مباشرة بواسطة الضخ يمكن في هذه الحالة أن تروى ريا

دائما . والأراضى التى تروى مرة واحدة فى السنة كانت تنتج بالتالى ـ محصولا واحدا فقط هو المحصول الشتوى . اذ تبذر البذور بعد أن تجف الأرض بالقدر الكافى ولم يكن هناك حاجة الى رى آخر . والعمل الوحيد الذى يطلب من الفلاح القيام به حتى وقت الحصاد هو تنظيف الأرض من الأعشاب . وفى بعض الأحيان أمكن زراعة بعض المحاصيل الصيفية فى الأحواض المختلفة قبل الفيضان . وبالرغم من بساطة هذا النظام وسهولته الا أن له بعض العيوب .

اولا : عندما يبكر الفيضان تدخل المياه الأحواض اما مباشرة او عن طريق الرشح وفى هذه الحالة تتعرض المحاصيل للتلف .

ثانيا : عندما يتاخر الفيضان لا تملأ الأحواض بالمياه فى الوقت المناسب ويؤخر هذا بذر الحبوب ، وهذا يعرض المحاصيل للتلف لشدة الحرارة فى الربيع التالى .

ثالثا : فى حالة ارتفاع فيضان النيل تنشا الحاجة الى المراقبة الدقيقة للجسور وتقويتها حتى لا تغرق الأراضى باكملها وتتهدم البيوت .

رابعا : اذا استغرق الفيضان مدة طويلة يؤدى ذلك الى تاخير صرف المياه مما يؤدى الى اتلاف نمو النبات.

خامسا : اذا كان الفيضان منخفضا لا تحصل الأحواض على حاجتها من المياه ولذلك لا تتمكن من انتـاج محصـــول وفير .

وتجدد مياه الفيضان خصـوبة الأرض بما تحمله اليها من الطين الأحمر (الغرين) فالنيل الأحمر هو الذى يخلق مصر الخضراء ، ثم يبدأ هـذا الراسب فى تغطيـة الأرض من النصف الأول من شهر مسرى (أغسطس) وبما أن الأرض تظل مغطاة بالميـــاه لمدة اربعين يوما . لذلك كان يصل الراسب الى أعلى مستوى له فى شهر بابه (اكتوبر) ويحتـوى هـذا الراسب على مادة الآزوت (النتروجين) وحامض الفسفور الذى يجدد التربة ويمدها بما تحتاج اليه فتحتفظ بخصوبتها . وعند جفاف التربة تتشقق الأرض من شـدة الحرارة . وهـذه التشققات تسمح للهواء بأن يمر فيها ، وهـذه العملية تمنع التربة من الضعف وكان القمح هو المحصول الذى يمكن زراعته سنة بعد أخرى دون أن تضعف أو ترهق التربة . أمـــا الأراضى التى يمكن ريها ريا دائما فلا بد أن يكون هناك تفاوت فى أنواع المحاصيل حتى تستطيع الأولى أن تحتفظ بخصوبتها .

من العرض السابق يتضح لنا أهمية بناء الجسور وتطهير القنوات من الطمى والرمال ، بمعنى آخر لابد من كفاح مستمر وحرب دائمة ضـد تقلبات الطبيعة حتى

يمكن أن تنتج الأرض (١) • اذ كانت شدة التيار المائى وقت الفيضان تكتسح أمامها الجسور لذلك كان يتم تقوية الجسور بواسطة زرع الأشجار الكبيرة، وفرضت العقوبات على من يقوم بقطعها كما لجأ أصحاب الأراضى الى زرع نبات السمار حول أراضيهم كنوع من الوقاية من الفيضان ولكن لم تستطع هـذه الوسيلة أو تلك أن تحـد فى كثير من الأحيان من جموح النهر ونزوات تياره ، فكان يكتسـح الجسور التى تقف عائقا أمام جبروته • لهذا كان لا بد من اعادة بناء الجسور سنويا وكان يتم بناؤها عن طريق السخرة • وقد شمل هذا النظام فى العصر الرومانى كل الذكور من اهالى القرى اذ كانوا يكلفون بالعمل فيها لمدة خمسـة أيام فى السنة • كما فرضت الحـكومة بعـض الضرائب على الخاضعين لضريبة الرأس وخصصت دخلها للانفاق على حفر الترع وصيانة الجسور الرئيسية كمـا فرضت السـخرة لحمـاية الأحـواض المحلية • وعينت الحكومة المراقبين لمراقبة الجسور والقنوات كما استخدم الملاك والمستأجرون الحراس خلال فترة الفيضان لمراقبة حالة الفيضان الى جانب قيامهم بتقوية الجسور التى تقع فى أراضيهم على نفقتهم الخاصة • كما كانت نفقات تطهير

(١) عن كفاح الفلاح المستمر ضد الفيضان راجع :

Johnson, Roman Egypt, 104 (A.D. 78), P. Lond. 131 R.; Anna Swiderek, « La propriété Foncière privée dans l'Egypte de Vespasian et sa technique agricole d'après P. Lond., 131, Recto » Bibliotheca Antique, I, 1960, pp. 1-107.

الترع من النباتات الشيطانية تقع على من تجرى الترعة في أرضه • وعند انخفاض المياه بعد الفيضان كان يمكن رفع ميـاه الرى بالآلات الرافعـة الممثلة فى السـاقية والشادوف (النطالة) والتابوت واستخدمت هذه الأدوات ايضا فى المناطق البعيدة عن النيل لريها .

وكانت الأراضي التي تروى ريا دائما تحتاج فى حالة زراعتهـا بالمحـاصيل الشـتوية الى ريهـا ثلاث مـرات أما الأراضى المرتفعة فتحتاج فى العصر الحالى الى ريهـا خمس أو ست مرات. ولا توضح لنا الوثائق كيفية زراعة المحاصيل الصيفية ويبدو انها لم تكن تختلف عن تلك المعروفة فى عصرنا الحالى وتتلخص فى بذر البذور بعد حصاد محصول الشتاء ثم تروى الأرض بعد ذلك وتكرر العملية كـل ثمانية أو عشرة أيام حتى تنمو المحـاصيل بسرعة قبل اشتداد الحرارة فى فصل الصيف أما زراعة البرسيم فلم تكن تحتاج الى الرى الا كل ١٥ يوما •

المحاصيل الزراعية :

المعـروف أن التربة المصرية على درجـة طيبـة من الخصوبة وبالرغم من ذلك استخدم السماد الطبيعي فى تقوية الأرض وتغذيتها خصوصا فى الأراضى التى تنتج أكثر من محصول فى السنة أو تلك التي لا تغطى بمياه الفيضان . وجاء القمح على رأس قائمة المحاصيل المصرية ومن أهـم المحاصيل التى كانت تزرع الشـعير والفـول

والحلبة والعدس والحمص والترمس والزيتون - ومن أهمها أيضا البرسيم والذرة الرفيعة • كما زرعت أنواع كثيرة من الخضراوات مثل الفاصوليا الخضراء والبسلة والقلقاس . اما أراضى الحدائق فكانت زراعة الكروم والنخيل من أهم محاصيلها •

اما أراضى الرعى فيبدو أن أصحابها قاموا بزراعة البرسيم أو ترك الكلأ فى الأرض لرعى الحيوانات اما لاستغلالها أو تأجيرها نظير ايجار يقدمه لهم من يقوم باستغلالها ..

استخدم الفلاح الفأس فى حفر الأرض والمحراث فى تسوية الأرض الخالية من الأحجار ، ويبدو أنه استخدام آلة معينة كان يديرها بواسطة الحيوانات لبذر حبوب تعطى المحاصيل مثل القمح والحلبة • كما استخدم المنجل فى جنى المحصول وكان يتم درس القمح فى الضياع الكبيرة بواسطة النورج الذى يديره الثيران ، اما صغار الزارعين فكانوا يدرسون قمحهم فى طاحونة القرية • واستخدمت الحمير والعربات التى تجرها الحمير فى النقل الزراعى •

الأجور الزراعية :

تباينت اجور عمال الزراعة من فصل لآخر ، وتبعا لسن العامل ونوع العمل الذى يقوم به • وكانت أجور

العمال المتخصصين ازيد من غيرهم . وتراوحت أجرة العامل خلال فترة الفيضان عندما يقل العمل بين ٣ ، ٤ اوبلات (١) يوميا ، والصبى بين ٢ ، ٢ ½ اوبل يوميا . وعند بذر الحبوب فى شهر هاتور بلغ متوسط أجرة العامل بين ٤ ، ٥ اوبلات وخلال شهرى طوبة وامشير أى فى فترة قص وتهذيب الأشجار تراوحت اجرة العامل بين ٣ ، ٦ اوبلات وبين ٦ ، ٧ اوبلات لعامل ضخ المياه وبين ٤ ، ٦ اوبلات للعامل الذى يقوم بتسميد الأرض . أما الصبى الذى يقوم بقص وتهذيب الأشجار فقد تراوحت أجرته بين ٣ ، ٤ أوبلات يوميا . وبلغ متوسط أجرة العامل الذى يقوم بجمع العيدان الجافة من الحقل بعد الحصاد أوبلان يوميا ، وعامل درس القمح بين ٣ ، ٤ اوبلات وجامع محصول الكروم ٥ أوبلات يوميا .

وكان يوجد فى الضياع الكبرى عمال دائمون ولكن يبدو أنهم كانوا قلة . واعتمد أصحاب هذه الضياع على تأجير العمال للعمل فى اراضيهم وفى بعض الأحيان عقدوا العقود مع هؤلاء العمال. وفى أحد عقود العمل نرى أن العمال وقعوا على العقد توقيعا جماعيا » (٢) ، وتم هذا قبل بداية فصل الحصاد وحصل كل منهم على مبلغ ٤ دراخمات مقدما ، واشترط صاحب العمل على العمال أن يقوموا

(١) الدراخمة تساوى مليما . وكل دراخمة تساوى ٦ اوبلات .

(٢) P. Sarapion, 49 (A.D. 123), P. gr. 247, 50 (A.D. 124), P. gr. 216 + 271; 51 (A.D. 125), P. gr. 183.

بعملهم دون توقف كما أنه لم يكن من الممكن استبدالهم بآخرين ضعفاء . وجرت العادة على أن يقدم صاحب العمل للعمال الجعة والنبيذ واحتفظ العمال بباقى الأجر العينى بعد انتهاء موسم الحصاد ، وقبل درس القمح . والتزم صاحب العمل فى بعض الأحيان بتقديم أشياء معينة بعد انتهاء العمل مثل أردب من العدس وحزمتين من قش القمح وسباطة بلح مكبوس . وكانت هذه الأشياء بمثابة مكافأة من صاحب العمل لعماله ولم يكن فى استطاعة العامل الزراعى ــ باستثناء عدد قليل منهم ــ أن يعمل أكثر من ١٢٥ يوما فى السنة وفى وسعنا أن نتصور برغم البعد الزمنى المشاكل الاقتصادية التى كان يعانى منها الفلاح الأجير نتيجة لهذا .

وفى الضياع الكبرى كان ناظر الضيعة ــ وغالبا ما كان عبدا محررا ــ يشرف على سير العمل فى الأرض وعلى سجلات الدخل والنفقات الخاصة بها .

هكذا نرى من استعراض النشاط الزراعى فى مصر فى العصر الرومانى أن البيئة المصرية قد جمعت فى تناسب معقول بين امكانات العمل وحوافز النشاط . فالتربة المصرية تربة غنية دون أن تصل الى حد التبذير . فلم تكن الثمرة تتساقط من الأشجار لفلاحين كسالى . لقد وفر النيل والشمس خامات الحياة ولكن كان لابد لصفها من معركة ضد الموت ، ضد الفياضانات ، وضد الرمال . كما نلاحظ أنه اذا كان لليونان فضل فى تطعيم

الزراعة المصرية بأكملها ببعض من زراعاتهم واعنى الزيتون والكروم فلم يكن للرومان أى فضل مناظر فى هـذا المجال ٠

الحيوانات :

يلى الحديث عن النشاط الزراعى وابعاده المختلفة ذكر الحيوانات المساعدة للفلاح فى عمله ومن اهمها الثيران التى استخدمها فى ادارة السواقى والنورج ، والحمير التى استخدمت فى نقل المحاصيل الزراعية ، أما الأبقار فقد استخدمت فى الطعام ودخلت الخيول مصر عن طريق سوريا واستخدمت فى مباريات الخيول الى جانب أنها وسيلة من وسائل المواصلات السريعة فى ذلك العصر . أما الخنازير فيبدو أنها لم تكن كبيرة العدد لأن المصريين لم يقبلوا على استخدام هذا الحيوان فى الطعام نظرا لقذارته فى رايهم وقصروا استخدامه على تقديم القرابين فى المناسبات الدينية . كما وجدت الخراف والماعز واستخدمت فى الطعام وصناعة الملابس الصوفية واستغلت مخلفاتها فى تسميد الأرض ٠ واستخدمت الحيوانات السابقة البرسيم الأخضر والجاف فى طعامها ٠ أما الدواجن فقد عرفت مصر منها الدجاج والحمام والأوز واعتمدت فى غذائها على الحبوب وخاصة الفول والذرة الرفيعة ٠

الفصل الثانى :

الصناعة

شجع الرومان الصناعة فى مصر كجزء من خطة نعاش أحوال البلاد الاقتصادية ، وقد ساعد موقع مصر لممتاز وظروف السلام التى سادت العالم القديم ونشاط التجارة الشرقية على تقدم الصناعة المصرية . وقد بذل لرومان جهودا كبيرة فى سبيل انعاش البلاد اقتصاديا نى أول الأمر لأن جزءا كبيرا من فوائد ازدهار الحياة لاقتصادية كان يذهب الى روما سواء عن طريق الضرائب و عن طريق أرباح كبار المستثمرين من الرومان . وقد مارست الحكومة درجات مختلفة من التحكم والاشراف على كثير من الصناعات المصرية مثل النسيج والبردى والطوب الجعة . أما المناجم فقد احتكرتها الدولة ، وتركت صناعة الزيت حرة فى أيدى الأفراد كل ذلك ساعد على ازدهار الصناعة والتجارة بمصر على نحو لم تألفه

من قبل ويكفي أن نقول أن الاسكندرية أصبحت أكبر مركز للصناعة والتجارة فى الامبراطورية الرومانية بأسرها ولدينا نص يصف الحياةالاقتصادية فيالاسكندرية بهذه العبارات « انها مدينة غنية تتمتع بالثراء والرخاء ولا يوجد بها عاطل عن العمل فالبعض يعمل فى صناعة الزجاج وآخرون يعملون في صناعة أوراق البردى وكثيرون يعملون اما فى صناعة النسيج أو فى اية حرفة أو صناعة اخرى ، حتى اصحاب العاهات من العجزة والخصيان والعميان كل له عمله ، حتى من فقدوا أيديهم لا يقضون حياتهم عاطلين هناك • الجميع هنا يعبد الها واحدا هو المال هذا الاله يعبده المسيحيون واليهود وكل طائفة أخرى فى الواقع » •

هذه الوثيقة تصف أشهر المنتجات الصناعية التى اشتهرت بها مصر وهى الزجاج والبردى والنسيج لقد تخصص الفراعنة فى صناعة الزجاج منذ أقدم العصور وارتقوا بهذهالصناعة وصدورها الىأماكنمتفرقة منحوض البحر المتوسط • ويذكر استرابون الجغرافى المشهور الذى زار مصر عقب فتح اغسطس لها (٣١ / ٣٠ قبل الميلاد) يذكر أن صناع الزجاج فى الاسكندرية كانتلهم أسرار خاصة بصنعتهم وأن تربة مصر كانت تحوى مادة معينة تصلح لصناعة الزجاج المتعدد الألوان • وقد صنع المصريون أشكالا مختلفة من الزجاج قلدوا فيه

الأوانى الفخارية التى كانت ترد اليهم من الخارج (١) .

أما صناعة ورق البردى وتصديره للخارج فقد ظلت احتكارا لمصر وذلك لأن نبات البردى كان لا ينمو الا فى مستنقعات وأحراش الدلتا فى مصر . وكان الورق يصنع من اللباب الليفى اللزج الموجود بساق نبات البردى وهى ساق عريضة من أسفل ومدببة من أعلى . وهذا اللباب كان يقطع بمدية حادة فى اتجاه رأسى وتوضع فوقها طبقة ثانية من الشرائح متقاطعة معها أى فى اتجاه أفقى ، ثم تضغط الطبقتان ضغطا شديدا فتلتصقان بفضل العصارة اللزجة بعد اضافة قليل من ماء النيل (دون أى صمغ) وتترك فى الشمس لتجف ، وبذلك تتكون ورقة تظهر الألياف على وجهها أفقية ، وعلى ظهرها رأسية . وبعدئذ يسوى وجه الورقة بمطرقة خشبية أو يدعك بصوفة أو قطعة من العاج أو الحجر الخفاف حتى يصبح ناعما مصقولا . وكان وجه الورقة (recto) وهو ما تكون فيه الألياف أفقية هو المخصص أصلا للكتابة وقلما كان النص المدون على الوجه يستكمل على الظهر . غير أنه كان من السهل أن يكتب أيضا على ظهر الورقة verso

(١) لمزيد من التفصيلات عن هذه الصناعة الهامة فى مصر فى العصر الرومانى راجع :

D.B. Harden, Roman Glass from Karanis Found by the University of Michigan.

اذ كان ورق البردى المستعمل كثيرا ما يستخدم بعد الاستغناء عن النص المكتوب على الوجه لتدوين الرسائل الخاصة والحسابات والمسودات وصور الوثائق الرسمية والقانونية أو لنسخ المحفوظات الأدبية الرخيصة لتعليم الأولاد فى المدارس . ومن الأهمية بمكان أن يستطيع الباحث التمييز بين وجه البردية وظهرها ، حيث أن الكتابة على الوجه غالبا ما تكون هى الأسبق زمنيا بمدة قد تصل الى ٥٠ أو ٨٠ عاما . وتجرى الكتابة عادة ـ وليس دائما ـ فى اتجاه الألياف الأفقية سواء على وجه البردية أم على ظهرها . غير أن اتجاه الكتابة ليس بالمقياس الدقيق للتعرف على وجه الورقة وانما نعومة الملمس هى المقياس.

وكانت اطراف الأفرخ تلصق ببعضها بمعجون خاص فيتكون من ذلك لفافة طويلة . وغالبا ما كانت ـ لفافة البردى تحتوى على ٢٠ فرخا . وعلى هذه الصورة كان البردى يخرج من المصنع . وعند تاجر التجزئة كان المشترى يقتطع من هذه اللفافة الحجم الذى يحتاجه لتأدية غرضه .

ويبدو أن تجارة البردي كانت حرة فى العصر الروماني دون أن تخضع لاحتكار حكومي لذلك فرضت الحكومة على صناعته ضريبة مالية وضريبة اخرى نوعية تحصل سنويا وترسل الى روما ولعلها كانت كافية لتغطية احتياجات العاصمة من أوراق البردي طوال العام .

أما الصناعة الكبرى الثالثة فهى صناعة النسيج فكانت من أكثر الصناعات انتشارا فى مصر ، وقلما خلا منزل من منسج لسد حاجة الأسرة من الملابس ولكن الى جانب الصناعة المنزلية وجدت مصانع تخصصت فى انتاج أنواع راقية من المنسوجات التيلية التى اشتهرت بها مصر منذ أقدم العصور ومن بين هذه المصانع الكبيرة مصنع أبوللونيوس مدير اقليم أبوللونو بوليس هيبتاكوميا (١) الذى كان يملكه فى مدينة هرموبوليس ماجنا (الاشمونيين) وقد أقيم هذا المصنع داخل منزل المدير فى الاقليم وانقسم العاملون فيه الى فئات : الاماء وكن يقمن بعملية غزل الخيوط ، أما نسج الملابس فكان يتم على يد عمال متخصصين . ويبدو أن بعضهم كان يعمل بصفة دائمة وكان شخص يدعى شاريمون يقوم بالاشراف عليهم واستخدم المصنع بعض العمال ولكن بصفة غير دائمة وذلك باعطائهم المواد الأولية لكى يعيدوها مصنعة نظير مبلغ من المال أما صباغة النسيج فكانت تتم خارج المنزل على يد عمال متخصصين وأشرفت الينى أخت المدير وزوجته على عمل الاماء فى المنزل . وعند غيابها كانت تقوم محلها والدتها يودايمونيس . وفى حالة غياب الاثنتين كانت تحل محلهما سيدة تدعى تيتيبس ويبدو أنها كانت زوجة شاريمون رئيس العمال . أما

(١) كان اقليم ابوللونوبوليس (حول كوم شقاو قرب طما بمحافظة سوهاج) .

تحديد طراز الملابس واختيار الألوان وشراء المواد الأولية اللازمة للصناعة فكان يقوم بها ابوللونيوس المدير بنفسه .

ويبدو السؤال الآن عن كيفية تصريف انتاج هذا المصنع • من المحتمل أنه قد خصص جزء من الانتاج لتغطية ما تحتاج اليه الدولة من ملابس للجنود الذين كانوا يقيمون فى اقليم بانوبوليس (اخميم) كما تم بيع جزء آخر فى الاقليم لاستخدامه فى التحنيط • ومما لا شك فيه أن ابوللونيوس وآل منزله قد استهلكوا جزءا كبيرا من الانتاج بل لم يكف انتاج هذا المصنع لتغطية كل احتياجات الأسرة اذ وردت بعض الاشارات التى تشير الى شراء أنواع معينة من النسيج (١) .

ويخبرنا بلينيوس الكبير عن أن الاسكندرية اشتهرت بنوع معين من التيل المزين بالرسوم والذى كان يصنع بنسيج عدد من الخيوط معا • وكانت المنسوجات المصرية تصدر بكميات كبيرة الى الأسواق الشرقية فى بلاد العرب والهند وكذلك الى مواطن متعددة فى البحر الأبيض المتوسط ولم تكن صناعة النسيج من اجل التصدير مركزة فى الاسكندرية فحسب بل وجدت مراكز أخرى فى أنحاء الوادى • فقد تخصص اقليم الفيوم فى تصدير انتاجه

(١) راجع : Wipszyoka (E.), L'industrie textile dans l'Egypte Romaine, Wroclaw, 1965, pp. 86-87.

الى بلاد العرب والهند . وبقدر ازدياد التجارة الشرقية فى النشاط فى العصر الرومانى ازدادت صناعة النسيج المصرية قوة وانتاجا حتى أن الكاتب بلينيوس الكبير اعتقد أن مصر رفعت قيمة وارداتها من الهند وبلاد العرب عن طريق تصدير المنسوجات التيلية .

اتبعت الحكومة الرومانية سياسة محكمة على هذه الصناعة تحقق الاشراف الكامل عليها . وتتلخص هذه السياسة فى امتلاك المصانع الخاصة بها . أما سائر العاملين فى هذه الصناعة فقد وضعتهم تحت اشرافها الخاص عن طريق النقابات التى كانت تضم عمال كل صناعة واعفت عمال النسيج من القيام بالأعباء الالزامية وفرضت عليهم ضرائب مالية ونوعية يدفعها النساجون وأصحاب المصانع للدولة وحين لاتفى هذه الضرائب بحاجة الدولة كانت تفرض عليهم كميات أخرى اضافية .

الى جانب هذه الصناعات الرئيسية وجدت صناعات أخرى ذات أهمية تجارية مثل صناعة العطور وتصديرها الى الخارج معبأة فى أوان زجاجية، هذا الى جانب استيراد التوابل من الهند ثم تصنيعها فى مصر وتصديرها الى الخارج .

كما اشتهرت مصر أيضا فى العصر الرومانى بصناعة التماثيل واللعب والآلات الموسيقية وصناعة الخمور والزيوت التى تشجعت بدورها ، وصناعة الفخار وانتاجه بكميات كبيرة وأحجام وأنواع مختلفة تصلح للأغراض المختلفة .

● الفصل الثالث :

التجارة

ازدهرت التجارة فى الامبراطورية الرومانية خلال القرنين الأول والثانى ويرجع ذلك لعدة أسباب منها انها ضمت بلادا كثيرة متباينة الموارد الى جانب ظروف السلام التى سادت البحر المتوسط عقب تطهيره من القراصنة . هذا الى جانب استفادة التجارة من سياسة الاقتصاد الحر وتشجيع الاستثمار الفردى التى سار عليها الرومان لذلك ازدهرت فى الامبراطورية الرومانية

واستفادت مصر من نموها وساعد على ذلك موقع مصر المتوسط فى دائرة الامبراطورية الرومانية الى جانب وجود عدد كبير من الموانى الصالحة للملاحة على كل من البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر . لهذا أصبحت الاسكندرية أكبر مركز تجارى فى العالم بأسره . وقد استفادت مصر من التجارة وخصوصا من التجارة الشرقية ويرجع السبب فى ازدهار التجارة الشرقية الى عدة عوامل .

أولا : اهتمام بعض الأباطرة الرومان بهذه التجارة بل لقد

كان للامبراطور أغسطس مايمكن أن نسميه بسياسة البحر الأحمر • وتتلخص فى تأمين الموانى المصرية الواقعة هناك لذلك وضع ميناء برنيقة (الهراس) تحت امرة قائد يحمل لقب قائد جبل برنيقى ،وكان يتولى ادارة المنطقة والاشراف على مناجمها ومحاجرها الى جانب قيادة الحاميات التى وضعت لحراسة هذه المناجم وتأمين الطرق الصحراوية بين النيل والبحر الأحمر وما فيها من آبار وصهاريج كما ارسل حملة الى اليمين بقيادة والى مصر (سنة ٢٦/٢٤ قبل الميلاد) لاشعار الأهالى هناك بقوة روما أو لاحتلال أحد المراكز التجارية الهامة ولكن قدر لهذه الحملة الفشل •

ثانيا : اكتشاف الرياح الموسمية فى المحيط الهندى على يد هيبالوس فى حوالى القرن الاول قبل الميلاد وتهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية فى الفترة من يونيو الى أكتوبر ، وهى ريح عنيفة يكون من نتيجتها أن يصبح البحر صاخبا ، ولم يكن فى استطاعة المراكب أن تواجهها من قبل ويرجع الفضل لهيبالوس فى معرفة كيفية الاستفادة منها وذلك بملاحظة مواقع الموانى وأحوال البحر • وقد سار على دربه كثير من الملاحين اليونانيين فى العصر البطلمى • واستطاعوا بهذه الوسيلة أن يصلوا الى الهند فى جرأة واقدام وخلفهم الرومان فى هذا الطريق •

ويعطينا الجغـــرافي اســـترابون الذى عـاصر أغسطس صورة عن مدى ازدهار التجارة الشرقية حين يقول: « ان السفن التي كانت تسير فى البحر الاحمر والتى لم تتعد خليج العرب لم تكن تزيد على ٢٠ ســـفينة أما الآن فان الأساطيل الكبيرة تسير الى الهند والى أقصى حدود اثيوبيا ومن هناك تعود محملة الى مصر بأغلى البضائع ثم توزع منها الى سائر البلاد • وهكذا تجنى مصر ضريبة مزدوجة عـــلى البضائع حيث ترد اليها وحين تصدر منها • وترتفع الضريبة بقدر ارتفاع قيمة البضائع • ويواصل استرابون قوله بأنه كان لتجار الاسكندرية ١٢٠ سفينة تعمل فى تجارة الهند الشرقية (١) • ولم يقتصر الامر على زيادة السفن بل زاد حجم السفينة عن ذى قبل وأصبحت السفن أكثر قـدرة على سرعة الملاحة (٢) •

واصلت التجارة الشرقية نموها وازدهارها فى القرن الثانى ، وساعد على ذلك شق الطريق البرى الهام الذى ربط بين ايله على رأس خليج العقبة وبين دمشق مارا بالبترا وبصرى كما تولى الامبراطور تراجان تطهير القناة التى كانت تصل النيل بالبحر الأحمر بعد أن طمستها المياه . كمـا

---

(١) عن التجارة الشرقية راجع المرجع الآتي :
Charleswosth (M.P.), Trade Routes and Commerce of the Roman Empire, Cambridge, 2nd ed., 1926.

(٢) عن اشكال السفن راجع : سعاد ماهر ، البحرية فى مصر الاسلامية وآثارها الباقية (القاهرة سنة ١٩٦٧) صفحة ١٥٨ ، ـ ١٥٩ •

حفر قسما جديدا أمدها به حتى أصبحت تتصل بالنيل عند حصن بابليون • وكان النيل فى ذلك الوقت يجرى تحت أسواره وكانت له مرسى ترسو فيه السفن • كذلك شق تراجان خليجا بدأ فى مدينة منف (البدرشين) مارا بمدينة بويسطى (تل البسطة) بالقرب من الزقازيق • وفاقوزا (فاقوس) فكانت السفن تسير فيه حتى بحيرة المنزلة ومنها الى بلوز (بورسعيد) ومنها الى البحر الأبيض المتوسط هذا بالاضافة الى الطريق الشرقى القديم الذى كان يخرج من منف الى القلزم ومنها الى البحر الأحمر •

ترتب على ازدهار التجارة الشرقية نشاط حركة السفن فى موانى البحر الأحمر وتشمل ميناء أرسينوى (على رأس البحر الأحمر) وقد سببت ضحالة مدخله بعض الصعوبات أمام الملاحة . أما ميناء برنيقى (الهراس) الذى انشاه بطليموس فيلاديلفوس (٢٨٣ ــ ٢٤٦ ق.م) فقد كان على جانب من الأهمية على الرغم من ضحالة مدخله وبعده عن قفط بمسافة بلغت عشرة أيام وتعرضه لرياح شديدة فى بعض الأحيان . أما ميناء ميوس هرموس (أبو شعر القبلى) فقد كان أهم موانى البحر الأحمر وبلغت المسافة بينه وبين قفط سبعة أيام وأمد الطريق اليه بمحطات المياه واستراحات التجار . وكان يقع على مسافة قصيرة من هذا الميناء محاجر الرخام والجرانيت عند المنطقة التى سميت باسم جبل كلوديوس وكان يقع على بعد ثلاثين ميلا من البحر .

استفادت مصر من موانى البحرالاحمر فى صادراتها ووارداتها وتكونت الصادرات أساسا من البرونز والقصدير والذهب والمنسوجات • أما الواردات فكانت فى جوهرها سلعا كمالية مثل اللؤلؤ والبخور والتوابل والعطور والعاج والمنسوجات القطنية • ويبدو أن الصادرات والواردات كانت تسير على أحد الطرق الآتية تنقل السلع المصدرة من الاسكندرية الى النيل ثم تتوقف فى هرموبوليس عند بوابة المدينة لتنتقل بعدها الى ميوس هرموس مباشرة أو الى ميناء برنيقى بواسطة الطريق الذى مهده هادريان وربط بين مدينة أنتينوبوليس (الشيخ عباده) وبين ميناء برنيقى وواصلت بعض البضائع رحلتها بعد هرموبوليس ماجنا حتى قفط لتنتقل بعدها برا على ظهور الجمال الى ميناء برنيقى لتحمل فى السفن وزودت هذه الطرق بمخطات لخدمة التجارة والحيوانات التى استخدمت فى نقل البضائع وكانت السفن التجارية تسير عادة فى حراسة سفن مسلحة خير تسليح لدفع خطر القراصنة عنها • وقد وصلت بعض هذه السفن الى الهند التى جاء منها وفود لأغسطس وحملت سفن التجار من هناك الحرير والقطن وغيرها من الأقمشة الرقيقة والتوابل والجواهر من الجنوب • وقد عرف التجار سيلان ولكنهم يعقدوا معها صلات منتظمة كما زارت السفن ساحل الصومال والمنطقة المعروفة الآن باسم رأس التوابل وكان العاج والجلود والرقيق من أهم صادراتها .

ازدهرت التجارة الشرقية ازدهارا كبيرا خلال القرن الأول حتى لقد شكا بليني من استنزافها لأموال الامبراطورية الرومانية ، كما سجل غلو الامبراطور نيرون في حرق الآدن في جنازة زوجته الثانية بوبايا وواصلت هذه التجارة نموها في القرن الثاني وأوائل القرن الثالث ثم بدأت في الذبول والانكماش منذ منتصف القرن الثالث . ويرجع ذلك لعدة أسباب منها اهتمام ملوك ساسان (فارس) الأوائل بأن يكون لهم طرق ملاحتهم الخاصة بعيدا عن ملك الرومان ، لذلك انشئوا عدة موان بحرية ونهرية كما عقدوا صلات تجارية مع شعب الزنوج في شرقي الصومال وهم الذين عرفوا باسم (زند افريك شاه) كما كان لاتحاد دول غرب شبه الجزيرة العربية ومنافسة مملكة اكسوم اثر في اضعاف خطوط الرومان البحرية . هذا الى جانب ان اضمحلال موارد الدولة الرومانية قد انعكست آثارها على انهيار التجارة . ومما يدل على جفاف شرايين التجارة الرومانية عدم اشارة المراجع اليها الى جانب قلة العملة الرومانية التي عثر عليها في الهند أو في البلاد الاخرى التي عقد الرومان معها صلات تجارية .

● الفصل الرابع :

الضرائب والالتزامات العامة

كان الفلاح المصرى مطالبا بحوالى ربع دخله لسـد الضرائب العينية والنقدية المستحقة عليه للدولة سنويا ويأتى على رأس الضرائب العينية ضريبة القمح التى كانت تعتبر أهم ضرائب هذا النوع (١) • وقد تراوحت ضريبة القمح على الأراضى الخاضعة بصفة عامة بين ٣/٤ الى ٢ أردب عن كل أرورا (فدان) • اما أراضى الدولة فقد تراوحت هذه الضريبة بين ١ الى ٧ ارادب عن الأرورا الواحدة (٢)

ويدور السؤال الآن عن كيفية حصول الحكومة على نصيبها من القمح كل عام ؟ بعد الحصاد كان يتم نقل

(١) بلغ متوسط ما كانت تحصل عليه روما من مصر سنويا من القمح (٢٠) مليون موديوس •
الموديوس = ١/٤ كيلة •

(٢) Wallace, op. cit., pp. 11-12.

محصول القمح الى طاحونة القرية ليتم درسه هناك ، ويبدو أن مستأجرى الاراضى الحكومية بكافة أنواعها كانوا ينقلون محصولهم الى الطاحونة أما بواسطة دوابهم الخاصة وفى حالة عدم توافرها لديهم كان يتم نقله بواسطة دواب النقل الحكومية نظير ضريبة حمل المحصول. ويبدو أن ملاك الأراضى الخاصة لم يتمتعوا بهذا الحق . ولم يعد يسمح للفلاح منذ القرن الثالث أن يحمل محصوله من الطاحونة الا بعد أن تحصل الحكومة على نصيبها من الضرائب . وكان شيوخ القرية يمثلون الفلاحين فى مراجعة الغلال والتاكد من أن الحكومة قد حصلت على نصيبها دون زيادة .

ولما كانت طواحين الغلال تقام دائما فى اطراف القرى فى الأماكن غير الصالحة للزراعة من الاراضى الملكية غير المؤجرة فقد فرضت بعض الرسوم على الفلاحين نظير استخدامهم لها. كما كلف الفلاح بنقل نصيب الحكومة من غلال أرضه من طاحونة القرية الى صومعة الغلال. وكان فى استطاعة مستأجرى الاراضى الحكومية استخدام قوافل الدواب الحكومية نظير مكس خاص بذلك ، ويبدو أن هذا الحق كسابقة كان قاصرا عليهم دون اصحاب الأراضى الخاصة (١) .

وليس من المستبعد انه كان هناك نظام معين لصوامع الغلال يتمشى مع تدرج رتب محصلى القمح المشرفين على

(١) Wallace, op. cit., pp. 34-35.

الصوامع في القرية والمركز ثم في القسم وبعد ذلك في عاصمة الاقليم التي كان يصب في صومعتها نهر غلال الاقليم بأكمله . وكان يفضل دائما أن تكون الصوامع المركزية قريبة من النيل حتى يسهل تصدير الغلال الى الاسكندرية تمهيدا لنقلها الى مدينة روما (١) .

كما فرض رسم اضافي على أصحاب الاراضي الخاصة نظير نقل الغلال من الصومعة الى الميناء وقد خصص هذا الرسم لدفع أجور موظفي الصومعة المختصين بتصدير الغلال وأجور سائقي دواب النقل ونفقات انزالها الى السفن وكان محصل ضريبة القمح sitologos هو المسئول عن دفع هذه الاجور وحصل المحصل رسما آخر بلغت قيمته ١٪ من محصول القمح ، ومن المحتمل أن يكون قد خصص دخل هذا الرسم لحفظ الغلال في الصوامع ، أو ربما كان غرامة دفعها الفلاح نظير عدم نظافة القمح أو أنه كان بمثابة مكافأة للمحصل نفسه ولا نستبعد أبدا أن تكون نفقات

(١) كان يتم حفظ الغلال بعد تجميعها في الاسكندرية في نيابوليس وهرميوم Hermeum تمهيدا لتصديرها لبناء بيتيولى Puteoli أو ميناء اوستيا ostia في ايطاليا تحت اشراف الموظف الروماني المسئول عن ذلك والذى كان يلقب بلقب بروكيوراتو Procurator ان أهالى الأسكندرية هم الذين كانوا يقومون بمهمة نقل الغلال الى روما كما كونوا نقابات لملاك ـ السفن وجرت العادة أن يبحر اسطول الغلال في الربيع حين يسمح الطقس بذلك في حراسة الاسطول السكندرى الاوغسطسي أو وحدات من القوة البحرية .

نقل القمح الى الاسكندرية قد فرضت على كاهل دافعي الضرائب .

بعد أن ينتهي الفلاح من تسليم ضرائب القمح العينية للدولة يصرف له أو لمثله ايصال من المحصل أو أحد مساعديه ويذكر فى هذا الايصال اسم دافع الضريبة والمجموع الكلى للغلال التى دفعت . وفى بعض الأحيان كان يحدد فى الايصال مقادير الضرائب الاضافية التى تم جمعها وكان مالك الأرض أو مستأجرها الأصلى يطلب من مستأجريه أو المستأجرين من الباطن نسـخة من ايصال دفع الضرائب المستحقة عليه ليحتفظ بها فى سجلاته الخاصة (١) .

لم تقتصر مهمة المحصل على استلام القمح واعطاء الايصالات وتصدير الغلال الى الاسكندرية ولكنه كان يحتفظ ببذور التقاوى للسنة التالية (٢) . كما كان يستقطع من وارداته ما تحدده الحكومة من رواتب لموظفى الصومعة الى جانب احتفاظه بتقارير عن الصادر والوارد من الغـلال وتقارير عن الايصالات اليومية . كما كان يقدم تقريرا كل عشرة أيام وكل شهر وكل أربعة أشهر وكل سنة لكل من مدير الاقليم والكاتب الملكي ومدير الحساب الخاص ، وكان يرسله مع مندوب عنه ، وكانت تقارير المحصل على نوعين : تقارير مفصلة يذكر فيها اسم دافع الضريبـة والتاريخ

(١) P. Sarapion, (A.D. 100), P. gr. 221.

(٢) عندما يأخذ الفلاح بذور التقاوى من الصومعة ، كان عليه أن يعيدها بعد حصاد محصوله فى شهر بؤونه .

والشهر الذى تم فيه الدفع ، وتقارير أخرى اجمالية والى جانب القمح استلم المحصل ضرائب الأراضى الزراعية المزروعة بأنواع الحبوب والبقول الأخرى مثل الفول والعدس والسمسم وكل المحاصيل التى كانت تنتجها الأراضى الحكومية . ويبدو أن الصوامع قد اديرت بطريقة تشبه نظام البنوك فقد كان فى امكان الفلاح أن يسلم محصوله لصومعة أخرى غير التى يتبعها ثم تبلغ الصومعة الاصلية بذلك نظير مكس اضافى وذلك فى حالة ما اذا كانت الصومعة التى سلم الحبوب اليها ابعد عن الميناء من صومعته التابع لها أصلا . ويتم دفع هذا المكس نظير نسبة مئوية على القمح .

ساعد المحصل فى تأدية عمله سكرتاريون ومساعدون وكان عددهم يتناسب مع أهمية الصومعة هذا الى جانب عدد آخر من صغار الموظفين مثل هؤلاء الذين كانوا يقومون بختم أكياس الغلال وحراس الصومعة والمختصين بكيل الغلال فى الصوامع المركزية ، بالاضافة الى الحمالين الذين يحملون الغلال من الصومعة الى السفن الراسية عند شاطىء النهر .

فرض على الفلاحين ضرائب عينية أخرى من أهمها ضريبة التموين العسكرى annona militaris وكانت ضريبة نوعية اضافية على أراضى الغلال ، فرضت لتموين القوات الرومانية المقيمة فى مصر أو فى المناطق المجاورة . ومدها بالقمح والشعير والنبيذ . وكان يمكن دفع قيمة هذه الضريبة نقدا لمحصلى الضرائب النقدية .

وفرضت الحكومة ضريبة تعرف باسم حزمة ــ ربطة ــ البرسيم الجاف ويبدو أنها كانت ضريبة عينية فرضت في بادئ الامر على فلاحي الدولة بواقـــع ربطه واحـــدة من البرسيم الجاف عن كل أرورا ، ثم تحـــولت منذ أوائل القرن الثـــانى الى ضريبة نقـــدية خصص دخلهـــا لشراء البرسيم الجاف الذى تحتـــاج اليه الخيول في الجيش الرومانى . ومن هنا يتضح لنا السـبب في تحويلها الى ضريبة نقدية لأن حمل البرسيم الجاف وتوزيعه على القوات الرومانية كان يتطلب نفقات كبيرة(١) .

وفرض على الفـــلاح الذى يطلب مسح أراضيه مكس عينى بلغ ½ اردب من القمـــح بصرف النظر عن المساحة المطلوب مسحها .

أما الضرائب النقدية التى فرضت على الفـــلاح فكانت هي الاخرى متعددة ومتنوعة ومن أهمهـــا الضرائب التى فرضت على أراضى الحدائق وخاصة أراضى الكروم . ويمثل دخل هذه الضريبة جزءا مهما من الدخل النقـــدى للادارة الرومانية فى مصر حيث أن مزارع الكروم كانت هي الشيء الوحيد الثابت لملاك الأراضى الخاصة وملاك الضياع الكبرى التى نمت خلال القرن الأول . واختلفت ضريبة الكروم من اقليم لآخر تبعـــا لجودة الارض وقـــد تراوحت قيمة هذه الضريبة فى اقليم طيبة (الأقصر) من ٢٠ الى ٤٠ دراخمة عن

(١) Wallace, op. cit., p. 25.

الفدان الواحد . وكان كروم اقليم طيبة من أجود الأصناف ولا غرابة في ذلك حيث كانت أغلب مزارع الكروم فى فى أيدى الكهنة وبلغت الضريبة النقدية التى فرضت على الأرورا المزروعة بالنخيل ٢٠ دراخمة فى اقليم طيبة . ووصلت ضريبة الأرورا المزروعة بالخضراوات ٢٠ دراخمة، والمزروعة بالفاكهة ٣٠ دراخمة (١) .

فرضت الحكومة ضريبة نقدية خصص دخلها للانفاق على تقوية الجسور والقنوات بلغت فى اقليم ارسينوى (الفيوم) ١٠٠ دراخمة بالاضافة الى بعض الرسوم النقدية الاضافية على الارورا من أراضى الاقطاع العسكرى أما الاراضى المؤجرة فقد بلغ معدل ضريبتها ١٥٠ دراخمة عن كل ارورا . كما فرضت ضريبة نقدية نظير تحويل بعض اراضى الزراعية الى ارض للبناء .

وحصلت الحكومة على كثير من الضرائب النقدية على حيوانات الفلاح فقد كان على كل من يملك ثلاث اناث من الحمير ومهران ـ ذكر وأنثى . أن يرسل تقريرا عنها الى الموظفين المختصين بذلك فى شهر أمشير . وجرت العادة على أن يختم المالك التقرير بذكر اسمه وعنوانه والتاريخ. ويبدو أن هذه الضريبة كانت ضريبة ايراد أى كانت تفرض

(١) المعدلات التى ذكرت هنا تمثل بعض الأرقام التى جاءت فى وثائق اقليم بعينه ولمزيد من التفصيلات راجع
Wallace, op. cit., pp. 44-55.

بمعدل واحد فى كل اقليم • كما فرض على الحمير الخاصة سخرة سنوية لمدة خمسة أيام تعمل فيها فى الأجران الحكومية أو لمساعدة العمال فى حفر الترع والقنوات • وكان يمكن اعفاء الحمير الخاصة من هذه السخره نظير رسم بلغ فى كرانيس (كوم أوشيم فى الفيوم ٨ درخمات وكان يصدر بمقتضى دفع هذه الضريبة براءة لصاحب الحيوان • diploma onon

كما كانت ضريبة الخنازير ضريبة ايراد ، وقد فضلت الحكومة أن تكون كذلك نظرا لأن هذا الحيوان يعتبر من أخصب الحيوانات اذ تنجب الانثى منه مرتين فى السنة ، كل مرة ثلاثة حيوانات ولم يكن فى وسعها أن تضبط ضرائب محددة عليها • ويبلغ معدلها السنوى فى اقليم هرموبولبس ماجنا (الاشمونين – المنيا)(١) دراخمة، ٤ أوبل •

ولفرض الضرائب على الخراف والماعز كان على مالكها أن يرفع عنها تقريرا لمدير الاقليم كل عام وكان المالك يشير فيه الى تقرير العام السابق فى حالة امتلاكه لها • كما كان يذكر ما اذا كان قد تم اعفاء أغنامه من الضرائب أم لا ويسرى الأعفاء فى حالة وجوده لمدة عام واحد • واذا فقد المالك أغنامه بسبب الموت أو السرقة فعليه أن يوضح ذلك • وعند بيعها عليه أن يذكر اسم المشترى الجديد وعنوانه واذا انتقلت الى اقليم آخر عليه أن يوضح ذلك ، ولدينا

وثيقة فريدة مؤرخة سنة ٢٣م • وهى عبــارة عن تقرير مرسل الى مدير اقليم كينوبوليس Cynopolis (فى المنيا) من شخص يدعى كرينثوس cerinthus وكان عبدا للسيدة الرومانية انطونيـــا (زوجة دروســـوس Drusus يبدو أنها كانت من الاسرة المالكة وكانت تملك مزرعة من اراضى الوسية) ويذكر فى تقريره الى المدير أنه يرغب فى أن يرسل الاغنـــام والماعز التى يقـــوم برعيها الى منطقة اكسيرونحوس (البهنسا فى مواجهة كينوبوليس) ويلتمس منه أن يسمح له بالانتقال • يتضح من هذه الوثيقة أن مثل هذا الانتقال كان ينبغى أن يرسل عنه تقرير وذلك حتى تظل سجـلات كل من الاقليمين منتظمة • وكان على مقدم التقرير أن يذكر أماكن رعى الاغنام واسم راعيها فى حالة وجوده وعنوانه كاملا • وجرت العادة على أن تقـــدم هذه التقريرات فى الايام الخمسة الاخيرة من شـــهر أمشير • وكان على المالك أن يقدم ملحقـــا لتقريره الاول فى شهر أبيب • ويرى البعض أنه كان يجرى احصاء للاغنام والماعز فى كل اقليم كل عام ولكننى أميل الى الرأى الذى يقول ان هذا الاحصاء لم يكن يتم الا بالنسبة للتقارير التى يحيط الشك بمعـــلوماتها • وبلغت قيمة ضريبة الاغنـــام فى يوهيميريا Euhemeria (قصر البنـــات فى الفيـــوم) مبلغ ٥¼ دراخمة عن كل رأس ، وفى اقليم ســـيني Syene (أسوان) انخفض معدلها الى ١ دراخمة ، ٢ أوبل عن كل رأس •

ويبدو أن دفع هذه الضريبة التى كانت تختلف من اقليم الى آخر كان يعطى لدافعها الحق فى أن يرعى أغنامه فى كل الاراضى الملكية الصالحة لذلك فى الاقليم الذى يقيم فيه . ويؤكد هذا تلك العبارة التى كانت ترد دائما فى تقريرات الملاك والتى تشير الى أنه قد تم رعى الاغنام والماعز فى كل الاماكن الصالحة لذلك فى الاقليم . ومن المحتمل أن هذه الضريبة مثل ضرائب الحيوانات السابقة كانت ضريبة ايراد .

أما الجمال فليس لدينا الا اشارات قليلة توضح أنها كانت تملك ملكية خاصة ، ويبدو أن الحكومة قد احتكرت ملكيتها خلال القرن الاول الميلادى لأهمية هذا الحيوان فى نقل المتاجر فى الصحراء ولكن حين قل نشاط التجارة الشرقية اصبح هذا الاحتكار غير مجد لذلك تخلت الحكومة عنه . ومن الفترة الممتدة من سنة ١٣٦ م الى سنة ٢١٧م لدينا ٣١ تقريرا عن الجمال . وهذه التقارير تشبه من حيث صبغتها تقارير الاغنام والماعز ، وقد بلغت ضريبة الجمال فى الفيوم عشرة دراخمات فى السنة عن كل رأس أما المهر الصغير فكان يستثنى من دفع هذه الضريبة(١) .

ولكى نستكمل صورة الحياة الاقتصادية ينبغى علينا

(١) اكتفيت هنا بذكر أهم الضرائب الزراعية التى أثقل بها الفلاح فى مصر فى ظل الادارة الرومانية ولدينا مئات من الضرائب التى فرضت فى ذلك العصر ولمزيد من التفصيلات راجع
Wallace, Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian, Oxford, 1938.

ن نتوقف فى ختامها عند الضرائب ذات الصفة السياسية والاجتماعية ويأتى فى مقدمتها ضريبة الرأس Laographia باللاتينية Tributum capitis • وتعتبر هذه الضريبة ن أهم مصادر الدخل للادارة الرومانية وتم فرضها منذ وائل العصر الرومانى بمقتضى أول تعـداد أجرى للسكان ى مصر الرومانية سنة ٢٤/٢٣ق٠م والذى أصبح يجرى كل اربعة عشر عاما بعد ذلك وقد استثنى من دفع هذه الضريبة الرومان ، ومواطنو المدن اليونانية فى مصر وعدد من رجال الدين والعلماء والموظفين • ومن المحتمل أنه قد تم اعفاء طبقة المستوطنين العسكريين فى اقليم ارسينوى (الفيوم) من هذه الضريبة • وتم فرضها بمعدل واحد على الطبقة الواحدة بصرف النظر عن دخل كل فرد أو قدرته المالية ، وكانت تفرض على الذكور دون الاناث ابتداء من سن الرابعة عشرة الى سن الستين او الثانية والستين • وقد اختلف معدلها من اقليم الى آخر ، وتراوحت فى بعض اجزاء مصر العليا بين (١٦) الى (٤٠) دراخمة سنويا • وبلغ اقل معدل لها فى اقليم هرموبوليس ماجنا (الأشمونين) ٨ دراخمات وأعلى معدلها فى نفس الاقليم (١٦) دراخمة • وكان اكثر الطبقات ثراء وثقافة فى اى اقليم هم الذين يدفعون أقل معدل لها • وأما اكثر الناس فقرا وأعنى المصريين ومن فى وضعهم فكانوا يدفعونها باعلى معدل لها فى الاقليم ، ولثقل هذه الضريبة سمحت الادارة بامكان دفعها على اقساط سنوية • ويبدو أنه لم يكن هناك شهر معين

للدفع . أما العبيد فكانوا يتبعون وضع سادتهم من حيث الاعفاء منها أو دفعها كاملة أو مخفضة بمعني أن العبد الذى يملـــكه سيد رومانى أو سكندرى الجنسية مثـلا لا يدفع الضريبة . أما العبد الذى يملكه مواطن من سكان عاصمة اقليم ولنفرض مثلا من مواطنى عاصمة اقليم هرموبوليس ماجنا فيـــدفع عنه (٨) دراخمات ـ أما العبد الذى يملكه مصرى فى نفس الاقليم فيدفع عنه (١٦) دراخمة .

لكن ما هو الوضع بعد صدور دســـتور الامبراطور كاراكلا سنة ٢١١ والذى منح بمقتضاه الجنسية الرومانية لكافة ســـكان الامبراطورية الرومانية ما عـــدا الاجانب المستسلمين (dediticii) ؟ (١) هل منح المصريون الجنسية الرومانية أم انهم اعتبروا من فئة الاجانب المستسلمين . يرى الأستاذ هارولد ادريس بل Bell انه قد تم رفع المصريين الى مصاف الرومان . لذلك أصـــبحوا خاضعين لضريبة المـــيراث التى كانت تفرض على تركات المواطنين الـــرومان دون أن يترتب على ذلك اعفـــاؤهم من ضريبة الرأس (٢) ويوافق كثير من المؤرخين على رأى الأستاذ بل

(١) يعـرف الفقيه الرومانى جايوس Gaius المستســلمين بانهم الأعداء الذين حملوا السلاح وحاربوا الشـــعب الرومانى ولما هزموا خضعوا .

(٢) H.I., Bell, « The Constitutio Antoniana and the EgyptianPoll-tax » J.R.S., 37, 1947, p. 18.

وللمزيد من التفصيلات راجع

A.H.M. Jones, « Another Interpretation of the Constitutio Antoniana », J.R.S., 26, 1936, pp. 223-235.

الخاص باستمرار خضوع المصريين لدفع هذه الضريبة . على حين يميل آخرون الى ترجيح الغائها عقب هـــذا القانون (١) .

حقيقة لقد عثر على عدد قليل من الوثائق التى تشير الى استمرار هذه الضريبة حتى سـنة ٢٢٢م . ولكن اذا قارنا هذا العدد من الوثائق بما عثر عليه من الوثائق التى تشير الى نفس الضريبة قبل دستور كاراكلا لوجدناه قليلا جدا فهل يكفى هـذا العدد القليـــل أن يكون دليـــلا على استمرارها فى مصر .

حقيقة لقد كان فى الغائها اضرار بالغة بالخزانة الامبراطورية ولكن ينبغى علينا أن لا ننسى أنه قـد ترتب على خضوع جميع الرومان الجديد لضريبة الميراث ذات الدخل المرتفع فيه تعويض كبير للخزانة .

ويلى ضريبة الراس ضريبة (Aurum coronarium) كانت هذه الضريبة فى الاصل اختيارية يدفعها المواطنون عند تـــولى الاباطرة الحـــكم وعنـد اقامة مواكب النصر الامبراطورية وأثناء الاحتفال بالاعيـاد التذكارية .. وقد أعفى بعض الاباطرة سكان الولايات من هذه الضريبة ولكن ما قارب القرن الاول الميلادى على الانتهاء حتى تحولت هذه الضريبة من ضريبة اختيارية الى ضريبة اجبـــارية سنوية تحصل لصالح التاج الامبراطورى .

(١) عند مناقشة المعانى المختلفة وراء فرض هذه الضريبة راجع
V. Tcherikover, « Syntaxis and Laographia », J.J.P., IV, 1950, p. 192 ff.

وبالاضافة الى سلسلة الضرائب السابقة فرضت الحكومة على الاهالى أعباء والتزامات أخرى عند زيارة الاباطرة أو كبار الموظفين لمصر فكانت تكلفهم باحضار الخبز والخضراوات والفواكه والنبيذ والبرسيم الأخضر والجاف لطعام الحيوانات والمصابيح والأوز والزيت والعدس والزيتون والأسماك والدجاج (١) .

وبعد الاستعراض السابق لأوجه الحياة الاقتصادية بكافة فروعها نلاحظ أن القاعدة الوطنية العريضة قد اثقل كاهلها بالضرائب والاعباء ، فهى التى كانت مطالبة بدفع أعلى معدل لضريبة الرأس الى جانب السخرة التى فرضت عليها هذا الى جانب سلب الفلاح أكبر قدر ممكن من محصول أرضه كل عام فى شكل ضرائب ومكوس متعددة حتى انه كان مطالبا بدفع ما يوازى ربع دخله سنويا للادارة الرومانية هذا فى الوقت الذى لم يكن يستطيع فيه أن يسد رمقه الا بصعوبة بالغة . وقد أدى هذا الى سوء الأوضاع الاقتصادية والشكوى المريرة التى بدأنا نسمع اليها خصوصا بعد ارتفاع أثمان كل شيء وقد اضطر كثير من الفلاحين الى الفرار من أراضيهم وقراهم ووجد بعضهم

(١) لدينا من اقليم هرموبوليس ماجنا (الاشمونين) مالا يقل عن مائة وثيقة خاصة بهذه الضريبة قبل سنة ٢١١ ، ولدينا ثلاثة وثائق فقط بعد دستور كاراكلا من المحتمل أن الوثائق الثلاثة الأخيرة عبارة عن متأخرات لدفع الضريبة قبل سنة ٢١١ .

في زحام مدينة الاســـكندرية ملجـــأ وملاذا وقام بعضهم بالاختفاء في أحراش ومستنقعات الدلتا حيث كانوا يقومون بأعمال التلصص وقطع الطرق وترتب على هذا أن هجرت قرى بأكملها وأصابت الحيـــاة الزراعية نوع من الشلل النصـــفى فى أواخر العصر الرومانى وليس هـــذا بالشيء الغريب وذلك لأن أى حكم اجنبى لأى شعب هدفه الاول والاخير امتلاء خزائنه بامتصاص دماء الشعوب الخاضعة ، لقد حاول بعض الاباطرة الرومان العمل على اصلاح بعض مرافق الحياة الاقتصادية ولـــكن لم يتم ذلك بقصد خدمة السكان أساسا ولكن لتحقيق أكبر قدر من الفائدة لخزائنهم ولامتصاص أكبر قدر من مجهود المواطنين وثرواتهم .

الباب الثالث النظام الإدارى

● الفصل الاول :

الادارة المركزية فى الاسكندرية

كان من الطبيعي أن يقوم الامبراطور اغسطس بعد فتح مصر سنة ٣١/٣٠ق٠م بالنظر فى البناء الادارى وأول شيء اهتم به هو تعيين نائب له فى الولاية وفضل اختيار «والى الاسكندرية ومصر» praefectus Alexandreae et Aegypti من طبقة الفرسان الرومان (١) لأن ثقته فيهم كانت اكبر من ثقته فى الطبقة الارستقراطية من رجال السناتو اذ كان يخشى اذا عين أحدهم يدفعه طموحه الى

(١) طبقة الفرسان هى طبقة رجال المال والأعمال فى روما ٠ وكان منصب والى مصر أعلى منصب فى سلك وظائف الفرسان التى كانت مرتبة ترتيبا تصاعديا على النحو التالى : منصب قومندان الشرطة vigilum praefectus ومدير التموين praefectus annonae وقائد الحرس البرتورى praefectus praetorio ثم منصب والى الاسكندرية ومصر٠ ثم أصبح منصب والى مصر يأتى قبل منصب قائد الحرس البريتورى الذى أصبح أخطر منصب من مناصب هذا السلك ٠

الاستقلال بمصر اعتمادا على مواردها الوفيرة وصعوبة غزوها (١) . الى جانب ان الفرسان بحكم خبرتهم العملية في شئون المال والتجارة وممارستهم لمنصب مدير تموين العاصمة قبيل مجيئهم الى مصر مباشرة أقدر من رجال السناتو في ادارة مصر التي كانت أهميتها الاقتصادية تأتي في المقام الأول .

كان والى مصر بمثابة نائب الامبراطور ومنه يستمد سلطته ويعتبر مسئولا أمامه مسئولية مباشرة . وتربع الوالى على رأس الجهاز العسكرى اذ كان القائد العام للحامية الرومانية في مصر كما كان يشرف على الجهاز الادارى بالاضافة الى أنه كان المهيمن على الجهاز القضائى لذلك كان يعقد مجلسه القضائى ثلاث مرات في السنة المرة الأولى في شهر يناير في بيلوزيون (الفرما) بور سعيد) للفصل في قضايا أقاليم شرق الدلتا ، والمرة الثانية في الفترة الممتدة من فبراير الى ابريل للنظر في قضايا أقاليم مصر الوسطى والعليا والمرة الثالثة في شهرى يونيو ويوليو في الاسكندرية للنظر في قضايا أقاليم غرب الدلتا . وفي بعض الأحيان يعلن الوالى عن

(١) عزل الامبراطور اغسطس اول والى لمصر كورنيليوس جاللوس وكان أحد أصدقائه المقربين لأنه تجاوز حدود منصبه باقامة نصب تذكارى لنفسه تخليدا لما قام به من أعمال . كما قتل الأمير جرمانيكوس بالسم حين زار مصر وقام ببعض الأعمال التي اعتبرها الامبراطور تيبريوس تجاوزا لحدود سلطته .

عقد مجلسه القضائي في الدلتا أو في الوجه القبلي وفي هذه المجالس القضائية يقوم الوالي بالفصل في القضايا المدنية والجنائية وكان يتمتع بحق مصـــــادرة الاملاك واصدار أحكام الاعدام لو اقتضى الأمر • هذا الى جانب النظر في المسائل الادارية والمالية ومراجعة التقارير وفحص كشوف الضرائب ، كما أن المسائل المتعلقة بمغادرة مصر عن طريق البحر بدون جواز ســـفر apostolos كانت تقع ضمن اختصاص الوالي • وتنص احـدى مواد وثيقة (P. Gnomon) الخاصـــة بمـدير الدخل الخـــاص Idios Logos على ان الأشخاص الذين يجـــوز لهم مغادرة مصر بحرا اذا غادروها دون الحصـــول على جواز بالسفر تفرض عليهم غرامة مقدارها ثلث أملاكهم ، واذا صدروا عبيدا لهم دون جواز تصادر كل أملاكهم • ومادة ثالثة تقول : ان رومانيا غادر البلاد بحرا دون ان يحصل على جميع أوراق السفر فغرم عددا معينا من التالنتات (١) وهي غرامة باهظة •

وحل الوالي في نظر ســـكان مصر محل الملوك البطالمة (٢) لذلك كان محرما عليه ركوب النيـــل زمن الفيضان خوفا عليه من الغرق ، كما كانت جموع الاتبـاع Clientes تنتظر الوالي أمام قصره لتـؤدى له تحيـة

(١) Lewis and Reinhold, Roman Civilization, Arts, 54, 66, 68, p. 382.

(٢) Tacitus, History, I, II.

الصباح (١) . وحين يقوم الوالى بجولاته التفتيشية فى انحـــاء الوادى كانت الســلطات المحليـــة تحرص على الاستعداد لمثل هذه الزيارات • فترهق الأهالى بالمطالب • وكان الوالى يستقبل بالحفاوة البالغة حيث تنظم له المواكب وتلقى له الخطب وتزين تماثيل الآلهة فى المعابد وتقـام له الحفلات تكريما له •

هكذا رأينا أن سلطات الوالى كانت واسعة ولكنها لم تـــكن مطلقة اذ أن الرسائل والفتـــاوى والتعليمات الصادرة من الامبراطور كانت تنظم مهـامه وتحددها من وقت لآخر فالامبراطور هو الذى يحــــدد قيمة الضرائب السنوية كما كان الوالى يرجع للامبراطور للفصل فى بعض المسائل بنفسه (٢) •

كان متوسط حكم الوالى لمصر ثلاث سنوات وهى مدة كانت قصيرة حين تقاس بطول عهود الأباطرة الرومان . ولا يخفى على القارىء أن السبب فى هذا يرجع الى خوف الأباطرة من ان طول مدة والى مصر فى الحكم قد يدفعه الى تثبيت اقدامه فى مصر وقد يدفع هذا بعض الولاة الطموحين الى الاستقلال بمصر ومناوأة روما نفسها . وفى اكثر الأحيان كان يتم تغيير الولاه بتغيير الأباطرة لان

(١) Mosurillo (S.J.), The Acts of the Pajan Martyrs (Acto Alexandrinorum), Oxford, 1954, Acta Maximi, No. III (Text), pp. 33-38, comment, pp. 150-160.

(٢) Lewis and Reinhold, op. cit., edict. of Tiberius Julius Alexander, pp. 375-379.

العاهل الجديد كان يفضل دائما ترشيح احد اتباعه او أصدقائه لهذه الولاية الهامة .

ويتمثل التجديد الثاني الذى ادخله أغسطس على النظام الادارى فى مصر فى منصب وزير العدل (Juridicus) والهدف الأساسي من انشاء هذا المنصب تزويد الجهاز الادارى المصرى بمستشار قانونى حتى لا تتعارض أحكام الوالى مع أحكام القضاء الرومانى هذا الى جانب أن وزير العدل كان بمثابة رقيب على الوالى ونائب له في الوقت نفسه .

وفيما يتعلق بالادارة المالية ظل يشرف عليها المشرف المالى (Dioecetes) كما كان الحال فى العصر البطلمى ولكنه أصبح الآن بمثابة مساعد للوالى فى الشئون المالية . أما مدير الحساب الخاص Idios Logos فأصبح يشرف على مصادر الدخل غير العادية مثل الاشراف على الأراضى التى تمت مصادرتها لأى سبب من الأسباب لصالح الدولة ، هذا الى جانب الاشراف على ممتلكات القصر والاشراف على ممتلكات المعابد . لذلك كان هذا الموظف هو الكاهن الاكبر للمعابد والمشرف المالى على ممتلكاتها الى جانب تحصيل الغرامات المختلفة .

كما تم تعيين عدد من الموظفين حملوا لقب مشرف (procurator) للاشراف على ادارات فرعية وكان أهمهم المشرف على مخازن غلال الاسكندرية وكان منهم

المشرف على أملاك الامبراطور الخاصة وكان يلقب بلقب procurator usiacus وفى اغلب الأحيـــــان كان يتم تعيين هذين الموظفين من بين عبيد الامبراطور المحررين • وكان الامبراطور هـــــو الذى يقوم بتعيين كل الموظفين السابقين بنفسه •

واستمر من المناصب البطلمية القديمة منصب قاضى القضـــــاة archidicastes ولـكن مهمته أصـبحت ادارية اذ عهد اليه بالاشراف على دار المحفوظات الرسمية التى كان يحفظ فيها نسخا لجميع الوثائق والعقود التى تعقد فى جميع انحاء مصر ، هذا بالاضافة الى منصب السكرتير العام Hypomnematographos وكان بمثابة مساعد للوالى • ويعتبر هذان المنصبان أرقى المناصب التى يمكن أن يشغلهما مواطنو الاسكندرية •

● الفصل الثانى :

ادارة الاقاليم

هذا فيما يختص بالاسكندرية أما فيما يختص بباقى أنحاء مصر ، فقد قسمت مصر من الناحية الادارية الى ثلاثة أقسام كبرى وهي الدلتا ، مصر الوسطى Heptakomia ومنطقة طيبة ، وعين على رأس كل وحدة ادارية من هذه الوحـــدات الثـلاث مدير عام بلقب ابيستر اتيجوس epistrategos وكان يدخـــل فى نطـــاق ادارة كل مدير عام عدد من النومات (المديريات) ويعتبر هـــذا الموظف حلقة الوصل بين حكام الاقاليم من جهة والوالى من جهـــة أخرى ، وكان يقـــوم بترشيح الموظفين للمناصب المختلفة فى دائرة اختصاصه وكان يرفع اليه مديرو الاقاليم بعض المسائل للنظر وابداء الرأى فيهـا . وبالرغم من اختصاصاتهم كانت مدنية تحتة وليس فيها أى ظل للسلطة

اختصاصاتهم كانت مدنية بحتة وليس فيها أى ظل للسلطة

أو المهام العسكرية . ولم يكن المدير العام يقيم فى المنطقة التى يشرف عليها ولكنه كان يقيم فى الاسكندرية فى أغلب

الأحيان . وكان يكتفى بأن يقوم بجولات تفتيشية بين حين وآخر لضمان حسن سير العمل .

ظل جهاز الادارة فى كل اقليم من الأقاليم المصرية ـ كما كان عليه الحال فى العصر البطلمى ـ يتكون من مدير الاقليم (strategos) ولم يكن للمدير اى اختصاص عسكرى كما يدل اللقب على ذلك ولكنه كان ميراثا من العصر السابق عليه . كان لكل اقليم مدير واحد فيما عدا الفيوم التى قسمت الى ثلاث مناطق ادارية وضع على راس اثنين منهما مدير وتولى القسم الثالث مدير ثان ـ ويتم اختيار مدير الاقليم من أفراد الطبقة الاغريقية من مواطنى عواصم الاقاليم ويراعى دائما الا يعين المدير فى الاقليم الذى ينتمى اليه منعا للمحاباة واستغلال النفوذ. ويتم شغل هذه الوظيفة القيادية بناء على ترشيح من المدير العام يعتمده بعد ذلك والى الاسكندرية ومصر . وفى العادة كان المدير يشغل منصبه لمدة ثلاث سنوات كما كان يتقاضى عن عمله راتبا سنويا ، ويبدو أن هذا المنصب كان يشغل بعد دفع أموال معينة ، لذلك حاول بعض المديرين أن يعوضوا ما دفعوه أثناء توليهم منصبهم .

ويغطى مدير الاقليم باشرافه جميع النواحى الادارية والمالية فى اقليمه فهو الذى يقرر الضرائب السنوية على الأفراد والممتلكات حسب الاحصائيات التى تجمع ، كما كان مسئولا عن استغلال أراضى الحكومة وتسليم التموين

العسكرى للفرق الرومانية المعسكرة فى الاقليم الذى يحكمه فى حالة وجودها ، الى جانب أنه كان يرأس جهاز الشرطة والأمن لذلك كان له الحق فى القبض على مخالفى القانون، وفى النظر فى الشكاوى واجراء تحقيــق ابتدائى فى القضايا ، وكان يحاول فى كثير من الأحيان أن يحل النزاع وديا بين الأطراف المتنازعة ، أما اذا تعذر عليه ذلك فكان يقوم برفع الأمر الى المدير العام . واذا تعذر على الأخـير يرفع القضية الى الوالى ليفصل فيها فى مقره فى الاسكندرية او اثناء قيامه بجولاته القضائية . كما يبدو ان المدير كان يمارس نوعا من الوصاية على القصر والنساء (١) .

ويلى المدير فى ســـلم المناصب الادارية فى الاقليم الكاتب الملكى Basilkosgrammateus وواضح أن هــذا الموظف احتفظ باللقب البطلمى القديم وكان بمثابة مساعد للمدير ونائب عنه . ويتم اختياره من نفس طبقة المدير ومن المحتمل أنه كان يحصل على مرتب سنوى ويعتبر هــذا الموظف من أهم ممثلى البيرقراطية فى النظـــام الادارى ولاختصاصه جانبان : جانب اجتماعى وآخر مالى والثانى لاحق للأول ومرتب عليه . فقد كان عليه أن يعرف الوضع القانونى لكل شخص حتى يتسنى له تحديد نصيب كل فرد من الضرائب كما كان يستدعى المكلفين بأداء الالتزامات العامة ، الى جانب استلام الاقرارات المنزلية للســكان

(١) P. Ryl, II, 84 (A.D. 146); 85 (A.D. 185); 116 (A.D. 194); 120 (A.D. 167); Jouguet, op. cit., pp. 342-3.

وشهادات الميلاد والوفاة واليه ترفع تقارير مسح الأراضى الزراعية وقوائم بأسماء المرشحين للمناصب المحلية .

ولم يكن باستطاعة الكاتب أن يؤدى جميع هذه الأعمال بمفرده ، لذلك كان تحت يديه هيئة من الموظفين ممثلة فى اثنين من سكرتارى أو كتبة المدينة يشغل كل واحد منهم منصبه لمدة ثلاث سنوات، ويليهم كتبه الأحياء وكان على كتبة الأحياء استلام الاقرارات المنزلية وشهادات الميلاد والوفاة ثم القيام بمطابقتها على الواقع لترسل بعد ذلك الى كاتب المدينة الذى يرفعها بدوره الى الكاتب الملكى .

انشأ الرومان دورا لحفظ السجلات الرسمية فى عواصم الإقاليم . وكانت دار المحفوظات العامة فى كل اقليم مختصة بحفظ جميع الأوراق الرسمية مثل كشوف الضرائب وسجلات الأراضى وقوائم التعداد وشهادات الميلاد والوفيات والعرائض ومختلف الالتماسات وكشوف مسح الأراضى وغيرها ، وكان يشرف عليها عدة موظفين .

كما وجدت بكل اقليم دار اخرى تسمى باسم «دار التسجيل العقارى » وكانت مختصة بايداع كل الوثائق الخاصة بكل المعاملات أو الصفقات التى تتأثر بها الملكية ، وكذلك سجلات عن العبيد . وكانت الاقرارات وغيرها من العقود المرسلة الى هاتين الدارين تلصق أطرافها فتتكون كشوف جامعة . كما كانت تعد كشوف أخرى تتضمن

خصصات للوثائق تحتوى على قوائم بعنــاوين الوثائق • كانت الكشوف ترتب ترتيبــا أبجديا حسب الحروف أولى من أسماء أصحاب المستندات ، كمــا كانت أعمدة كشوف ترقم ليسهل الرجوع اليها عند الحاجة •

والى جانب الموظفين السابق ذكرهم كان يوجــد ضباط وحرس لبوليس عاصمة كل اقليم يضــاف اليهم وظفو صومعة الاقليم الرئيسية ومساعدوهم •

والملاحظ على هذه الوظائف بوجه عام أن العليا منها شغلها الاغريق والمصريون المتأغرقون ، كما غلب عليهــا طابع البيروقراطى ، حتى لقد أصبحت البيروقراطية عنصرا سيلا فى موكب الحضارة المصرية ولكن انصــافا للحق نقول انها لم تكن من صنع الرومان بل كانت قديمة قــدم لحضارة المصرية مع الأهرام تبدأ وفيها تتلخص ثم أتاح بها الحكم الرومانى أكبر فرصة للنمو والازدهار •

● الفصل الثالث :

المناصب البلدية فى عاصمة الاقليم

والى جانب المناصب السابقة التابعة للحكومة المركزية فى الاسكندرية وجدت مناصب بلدية غلب عليها الطابع الاغريقى واعنى بها مناصب حكام البلدية ، وذلك لأن اليونانى كان لابد له فى أى مكان يعيش فيه من أن يكون له أجهزة ومؤسسات معينة يشرف عليهـا حكام منهم • وكان على رأس هذه المناصب جميعـا منصب مدير معهد التربية وقد سبق الحديث عنه (١) • ويليه منصب الرقيب exgetes وكانت مهمتـه المحـافظة على التقاليد الهللينية فى المدينة • وجرت العادة على أن يشغل هذا الموظف منصب كاهن المدينة كمـا كان يقوم بمهمة الاشراف على ضبط الألقاب والأوضاع القانونية لسكان عاصمة الاقليم ويتضح ذلك من عملية اختيار الشبيبة كما كان له ظل من السلطة القانونية واعنى بذلك حقه فى اختيار

(١) انظر ص ٥٠ •

الاوصياء على النساء والقصر وذلك بالنسبة لمواطنى عاصمة الاقليم فقط • وفى حالة غياب الوصى الاصلى يحل الرقيب مكانه •

واحتل المشرف على التعليم Kosmetes الدرجة الثالثة فى سلك المناصب البلدية ، وارتبط اختصاص هذا الموظف بتعليم الشبيبة ونشاطهم الرياضى فى معهد التربية ، وخصص له اثنان من الحراس وكانت اعباؤه المالية ثقيلة لذلك حاول البعض التنصل من شغله (١) • وقد عرض أحد الأفراد أن يدفع مبلغ ٢ تالنت (حوالى ٤٨٠ جنيها) مقابل عدم تولى هذا المنصب ولكن قوبل عرضه بالرفض • مما يدل على أن نفقاته كانت أكثر من ذلك •

ويلى هذا المنصب المشرف على السوق (المحتسب) (المحتسب) agoranomos واشتق اللقب من كلمة agora اليونانية ، وتعنى السوق ، لذلك كان من الطبيعى أن يختص هذا الموظف بالاشراف على الأسواق • كما كان يشرف على تسجيل عقود اليونانيين وتوثيقها فى عاصمة الاقليم • ولا نستطيع أن نحدد ما اذا كانت الرسوم التى تحصل نظير تسجيل وتوثيق العقود تئول الى خزانة المدينة أم الى خزانة الدولة وان كنت أرجح انها كانت تئول الى

---

(1) P. Ryl, II, 71 (A.D. 192); Johnson, op. cit., p. 361, (A.D. 250).

خزانة المدينة التى كان منصبه مرتبطا بها • وقد اختلف عدد المشرفين على الأسواق من اقليم لآخر تبعا لحجم كل اقليم ومساحته • وخصص لكل واحد منهم حارس واحد •

وخامس هذه المناصب منصب المشرف على التموين euthenìarchos ويـــرى البعض انه اختص بالاشراف على تموين المدينة بالغلال ومعنى ذلك أن له اختصاصا عاما أم أنه كان مكلفا بتوزيع هبات القمح المجانية • ويبدو أن اعباء هذا المنصب المالية لم تكن بسيطة اذ تشـــير احدى الوثائق الى أن المشرف على السوق قد ورث دينا عن سابقه بلغ (٢٠٨٠ دراخمه) وخصص لهذا الموظف حارس واحد•

كان كل حاكم من هؤلاء الحكام مستقلا عن الآخر فى ادارة عمله فى أول الأمر ولكن بمضى الزمن أصبحوا يكونون نقـــابة أو لجنـــة Koinon أصبحت تضـــمهم جميعـــا برياسة مدير معهد التربية ، كما كانت تضم كل من ســبق له أن شـــغل منصبا بلديا . كمـــا أصبحت مســئولة عن الترشيح لشغل المناصب البلدية . وفى حالة عدم وجـود مرشح يصبح من الضرورى استخدام الارغام .

المراكز والقرى :

انقسم كل اقليم الى عدد من المراكز Toporchiai بلغت فى هرموبوليس ماجنا (الاشمونين) ستة مراكز وكان يرأس كل مـــركز Topos مامور يلقب بلقب توبارخيس

Toparches يساعده كاتب Topogrammateus هذا الى جانب كتبة الأحياء ورئيس جهاز الشرطة والأمن والمشرف على صومعة المركز . وكان لكل مركز دار لحفظ سجلاته ووثائقه وكانت تعتبر فرعا لدار الوثائق المركزية فى عاصمة الاقليم .

وانقسم كل مركز بدوره الى عدد من القرى . ووجد بكل قرية مجموعة من صغار الموظفين على رأسهم كاتب القرية Komogrammateus وكان يتولى عمله بالالزام لمدة ثلاث سنوات ، وكان يدخل فى اختصاصه عدة قرى . وكانت مهامه كثيرة ومتشعبة تخدم اساسا الناحية المالية اذا كان مكلفا باعداد سجل عن جميع انواع الأراضى التى تدخل فى زمام قريته وموقع كل منها ومساحتها وملاكها او مستأجريها وايجارها وضرائبها ومحاصيلها ، ومايطرأ عليها من تغيير لأى سبب من الاسباب هذا الى جانب أنه كان مكلفا باعداد تقرير سنوى عن حالة الفيضان والترع والقنوات، ويدخل فى اختصاصه اعداد قوائم يحصر فيها أهل القرية وعدد الرجال فيها والالتزامات المكلف بها لكل فرد ، كما كان يقوم بترشيح خليفته فى المنصب وترشيح محصلى الضرائب النقدية ورئيس جهاز الشرطة والحراس بالقرية والمشرف على توزيع مياه الفيضان والمشرف على بناء القنوات ، والمشرف على نقل البضائع ومحصل ضريبة القمح الى جانب الترشيح لاعمال السخرة

البسيطة مثل حمل ضرائب القمح العينية من صومعة القرية الى ميناء الشحن .

ويراعى كاتب القرية فى الترشيح للمناصب السابقة الا يتجاوز اختصاص هؤلاء الموظفين حدود القرية التى يقومون بالعمل فيها ، وان يكونوا مناسبين لتولى كل منصب من الناحية المالية . وبعد أن يتم ترشيحهم ينبغى عليهم الا يغادروا حدود قريتهم الى مكان آخر . لكن ماهو موقف كاتب القرية من كبار الاثرياء الذين يملكون أراضى فى القرية ولكنهم لايقيمون فيها . هل كان يمكن ترشيحهم لشغل بعض المناصب السابقة ؟ الواقع أن مثل هؤلاء لم يكن يتم تسجيلهم فى القرية ولكن فى المكان الذى يقيمون فيه، وبناء على ذلك لم يكن من حق كاتب القرية أن يرشحهم لأى منصب فى القرية . وبعد أن يقوم الكاتب بتحديد أسماء المرشحين عليه أن يرسلها الى مدير الاقليم الذى يقوم بفحصها وكان فى استطاعة الاخير ان يحذف منها مايشاء لذلك جرت العادة على أن يقدم كاتب القرية أكثر من اسم لشغل المنصب الواحد ليختار منها المدير مايشاء . أما الاشخاص الذين لايقع اختيار مدير الاقليم عليهم فيتم وضعهم فى قائمة الانتظار لكى يشغلوا المنصب نفسه اذا خلا لأى سبب من الاسباب . وبعد انتهاء المدير من عملية الاختيار يرسل هذه القوائم الى المدير العام لاعتمادها ويبدو انه كان فى استطاعة المرشحين لمناصب القرية التهرب من شغلها عن طريق نظام المبادلة (cessio Bonorum)

وفيه يتنازل المرشح عن ثلث أملاكه لمن قام بترشيحه ليتولى الأخير المنصب . وكان من حق المرشح أن يرفع تظلمه الى الوالى مبررا الاسباب التى دفعته الى رفض شغل المنصب . ويقوم الوالى بالفصل فى مثل هذه الامور عن طريق المدير العام أو مدير الاقليم كما كان فى استطاعة الافراد أن يرفعوا تظلمهم الى الوالى فيما يختص بعقود تأجير الاراضى التى يشرف عليها كاتب القرية . وكان يتم الفصل فى مثل هذه المشاكل بنفس الطريقة السالفة الذكر أما سجلات الكاتب الزراعية فكان يتم تسجيلها فى دار التسجيل العقارى فى المدينة .

واشترك الأهالى بنصيب فى ادارة قراهم بواسطة لجنة من شيوخهم . ويبدو أن العضوية فى هذه اللجنة كانت تكليفا عاما على أثرياء القرية المقيمين فيها وخاصة كبار ملاك الاراضى الزراعية . ويبدو أن الاشتراك فى عضويتها كان يحدد بنصاب مالى معين اختلف باختلاف القرى والاقاليم . وبلغت مدة عضوية هذه اللجنة سنة ومن المحتمل أن نظام العمل فيها كان دوريا . واختلف عدد الشيوخ من قرية الى أخرى تبعا لحجمها وعدد سكانها (١) . ولما كان أغلب أعضاء هذه اللجنة يجهلون

(١) بلغ عدد شيوخ القرية فى فيادلفيا (هريت ــ الفيوم) أكثر من ثمانية سنة ١٨٣ ، وفى كراليس (كوم أوشيم ــ الفيوم) أكثر من عشرة سنة ١٣٦ راجع Jouguet, op. cit., p. 220.

القراءة والكتابة لذلك كان يعين لهم كاتب القرية سكرتيرا للقيام بالاعمال الكتابية وكان يتولى عمله بالالزام .

وتعتبر لجنة شيوخ القرية بمثابة حلقة الاتصال بين الاهالى والحكومة ، وكان عليهم أن يراقبوا فلاحة أراضى القرية وأن يشرفوا على ضبط النهر . وأن يمدوا الحكومة بما تحتاج اليه من عمال لخدمتها وقت الحاجة كما كانوا مسئولين عن سداد ضرائب الدولة ، وينبغى الا نظن أن هذه اللجنة كانت تكون مجلسا للمناقشة ولكنهم كانوا مساعدين مطيعين لموظفى القرية وعلى رأسهم كاتبها الذى كانت أعمالهم تتشابك معه فى بعض الاحيان .

ووجد بكل قرية مجموعة من الحراس pholakes ولقب رئيسهم بلقب archephodos وحل هذا اللقب محل اللقب البطلمى القديم epistates وقد انتزع الرومان من رئيس حراس القرية كل السلطة القضائية التى كانت لسابقه وكان يساعده موظف آخر عرف باسم حارس القانون nomopholakes وكان يتم شغل هذه المناصب بالالزام ، ويشترط لشغلها نصاب مالى محدد ، كما اختلف عددهم من قرية الى أخرى ويبدو أنهم كانوا يؤدون قسما معينا قبل شغلهم لمناصبهم يتعهدون فيه بتأدية عملهم بأمانة واخلاص .

واختص حراس القرية بالمحافظة على الامن والنظام فى القرية واجراء التحقيقات الاولية فى بعض القضايا

كما كان كبار موظفى الاقليم يصـــدرون الأوامر لرئيس الحراس بالقاء القبض او الافراج عن بعض الاشخاص . وقد استتبت حالة الأمن فى أوائل العصر الرومانى . واغلب الشكاوى التى لدينا عبارة عن منازعات ومشاجرات من النوع البسيط مثل سرقة المحاصيل الزراعية والمواشى والنزاع حـول الميراث . أما الجرائم الكبيرة فكانت نادرة بوجــه عام . وكان يعهد لبعض الحراس بالقيام بأعمــال معينة اثناء الفيضان لمراقبة النهر ، كمــا كلف بعضــهم بحراسة صوامع الغلال العمومية فيها .

● الفصل الرابع :

المدن الاغريقية

بلغ عدد المدن الاغريقية فى مصر أيام البطالمة أربعة مدن هى : الاسكندرية ونقراطيس فى غرب الدلتا وبطلمية فى أقصى الصعيد ، وبريتوريوم (مرسى مطروح) ثم أسس الامبراطور هادريان مدينة خامسة فى مواجهة اقليم هرموبوليس ماجنا (الاشمونين) واطلق عليها اسم انتينوبوليس سنة ١٢٠/١٣١ م - وبالرغم من أن الاسكندرية كانت عاصمة الولاية وكانت ثانى أعظم دول البحر المتوسط الا أن مصادرنا عن ادارتها البلدية قليلة بسبب رطوبة التربة التى لم تحفظ لنا وثائقها البردية وأهم ملامح استقلال المدن الاغريقية أن يكون لها مجلس للشورى Boulé وجمعية شعبية Ecclesia ولكن مصادرنا ولكن مصادرنا لقليلة لا تشير الى وجود أى منها فى العصر الرومانى . وتكون الجهاز البلدى فى الاسكندرية من مجموعة الموظفين وعلى رأسهم مدير معهد التربية ، والرقيب ، والمشرف على التعليم ؛ والمشرف

عن التموين ، والمحتسب اوالمشرف على السوق والكا
neocoros ولا نستطيع أن نحدد شروط تعيينهم فى هـ
المناصب وهل وجدت هذه المناصب منذ الفتح أم بعد ذلك
وهـــل شملت سلطتهم كل الســكان أم اقتصرت ع
المواطنين المتمتعين بحقوق المواطنة الســكندرية فقط
ولكن الذى نعرفه بالتاكيد ان مجموعة الموظفين السابق
كانوا يكونون لجنة تحت رياسة مدير معهد التربية (١)
الذى كان يقوم فىاغلب الاحيان بدور الزعيم الشعبى ضـ
الحكم الرومانى (٢) ، وكان يضاف اليهم أعضاء آخرو
يعينهم الامبراطور شخصيا وكانوا فى العــادة من عبيــد
المحررين ليكونوا بمثابة عيون له على هذا الجهاز الشعبى
وشغلت جميع المناصب السابقة عن طريق الانتخاب ب
المواطنين السكندرين فيما عدا وظيفة الكاهن التى كان
تشغل بواسطة الاقتراع بين المتقدمين .

وانقسم مواطنو الاسكندرية الى فئات مختلفة
وكانوا يدرجون فى قبــائل phylai واحياء ، وكان
أسماء الاحيــاء أكثر ثباتا من أسماء القبــائل التى كان
تتغير باستمرار . وقد وافق الامبراطور كلوديوس على
أن يطلق اسمه على احد قبائل الاسكندرية ، لذلك حرص

---

(١) El-Abbadi, « The Gerousia in Roman Egypt », JEA, Vol. 50, 1964, pp. 164-9.

(٢) راجع مجموعة أعمال الشهداء السكندريين
Mosurillo, The Acts of Pajan Martyrs, Oxford, 1954.

كل مواطن سكندرى على ان يذكر الحى الذى يقيم فيه بعد ذكر اسمه مباشرة .

أما المدن اليونانية الثلاثة القديمة فعلى الرغم من قلة مصادرنا عنها الا أن ما لدينا يكفى لاثبات انها احتفظت جميعا بنظام المدينة اليونانية ، وكان لكل منها حكامها المنتخبون مثل مدير معهد التربية والرقيب والمشرف على التعليم ومدير التموين والمشرف على السوق ومجلس خاص بكل منها ، كما كان لكل مدينة حقوق المواطنة الخاصة بها .

أما مدينة انتينوبوليس (الشيخ عبادة بالقرب من اسيوط) فقد اسسها الامبراطور هادريان عند زيارته لمصر سنة ١٣١/١٣٠ . اذ شعر بحاجة صعيد مصر الى مركز جديد لاشعاع الحضارة الهللينية فيها وسمى المدينة بالاسم السابق تخليدا لذكرى صديقه المقرب انتينوس Antinoos الذى كان مقربا اليه وغرق فى النيل وتقول بعض الأساطير : انه قدم نفسه قربانا للنيل لاسترضائه لكى ينقذ سيده من كارثة اوشكت أن تقع به . وقد حزن الامبراطور لموته حزنا شديدا وخلد ذكراه باطلاق اسمه على المدينة الجديدة واصبح فيما بعد الها للمدينة باسم اوريزا انتينوس (osirantinoos) .

اختار الامبراطور سكان المدينة من بين مواطنى بطلمية والطبقات اليونانية الممتازة فى اقليم ارسينوى

والمحاربين القدماء الذين كانوا يحصلون بعد تسريحهم تسريحا مشرفا من القوات المساعدة أو الأسطول على الجنسية الرومانية مع حق الزواج .

وقسمت المدينة الى احياء وانقسم الحى بدوره الى وحدات سكنية وكان بالمدينة أربعة أحياء وفتح الامبراطور للسكان امتيازات عديدة منها حق الزواج من المصريات واعفاؤهم من الخدمات الالزامية ، والاعفاء من واجب القيام بدور الوصاية القانونية الا فى حالة القصر من مواطنى المدينة والاعفاء من ضريبة المبيعات على العقارات والعبيد ومن المكوس المفروضة على السلع المستوردة ، ومن دفع ضريبة الرأس ، كما يبدو أنه منحهم اقطاعات من الأرض الى جانب انهم كان لهم الحق فى تعليم ابنائهم على نفقة الامبراطور اذا قام الآباء بتسجيل الأبناء خلال ٣٠ يوما بعد ولادتهم . وقد اغرت هذه الحقوق والامتيازات كثيرا من الناس بالاستيطان فى هذه المدينة الوليدة .

الفصل الخامس :

اصلاحات القرن الثالث :
انشاء مجالس الشورى

طرأ على مدينة الاسكندرية وعواصم الأقاليم تغيير هام سنة ٢٠٠، وذلك عندما منحها الامبراطور سبتيموس سيفروس مجالس للشورى عقب زيارته لمصر سنة ١٩٩ ، ٢٠٠ م ومما لا شك فيه أنه كان يوجد عدة دوافع وراء انشاء مجالس الشورى فى الاسكندرية وعواصم الأقاليم وتتلخص فيما يلى :

اولا : سوء أوضاع البلاد من الناحية الادارية الى جانب المشاكل الاقتصادية المتعددة .

ثانيا : شجع الامبراطور على اتخاذ هذه الخطوة رغبة الاغريق فى أن يكون لهم دور فى حكم أقاليمهم . أضف الى ذلك مزايا وجود مجلس مشترك يشترك فيه اثرياء المواطنين ويكون له دور فى ادارة المدينة ويستطيع ان يتحمل بعض الأعباء المالية عن الحكومة .

تكوين المجلس :

تكون مجلس الشورى Boulé فى الاسكندرية وعواصم الأقاليم من الطبقة الممتازة ويأتى على رأسها حكام البلدية بل ان معظم أعضاء كل مجلس والذين قدر عددهم بحوالى ١٠٠ عضو كانوا يشغلون مناصب بلدية الى جانب عضويتهم فى المجلس أو سبق لهم أن شغلوا المناصب البلدية . ومن المستبعد أن مجلس الشورى كان ينعقد بدون حضور سائر أصحاب المناصب البلدية . ولم ينته القرن الثالث حتى زال الحد الفاصل بين الفريقين فأصبحت كلمة archôn (اى حاكم من حكام البلدية) ترادف كلمة عضو مجلس الشورى .

ويدور السؤال الآن حول الطريقة التى تكون بها أول مجلس للشورى فى كل اقليم . من المحتمل أن يكون قد تم عن طريق تعيين أعضاء المجلس بواسطة نقابة الحكام البلدية (Koinon) أو بواسطة مندوبين عن الامبراطور والوالى والمدير العام ومدير الاقليم وبعض الأثرياء . واذا صدق هذا الافتراض فهل كان فى استطاعة هؤلاء الأفراد المعينين أن يرفضوا عضوية المجلس عن طريق التنازل عن ثلث أملاكهم ؟ من المحتمل فى حالة صحة هذا الافتراض بأن هذه القاعدة لم تطبق فى حالة تكوين أول مجلس لأن المواطنين من أثرياء كل مدينة كانوا فى غير حاجة الى استخدام هذا الحق لأن تكوين المجلس الوليد والاشتراك

فى عضويته كانت معقد آمال هذه الطبقة الارستقراطية وحلما من أحلامهم . وهناك افتراض آخر وهو أن يكون قد تم تشكيل أول مجلس عن طريق الانتخاب المقصور على أعضاء هيئة حكام البلدية ولكن هذه العملية كانت تعكس روح العصر واتجاهاته (١) .

امتيازات اعضاء المجلس واعباؤهم :

تمثلت امتيازات أعضاء مجلس الشورى فى اللقب التشريفي الذى كان يحمله كل منهم والذى كان يحرص على ذكره دائما . ويرى البعض (١) انه كان لأعضاء المجلس من اصحاب الأراضى الزراعية بعض الامتيازات ، ولكن اذا صدق هذا الافتراض فما هو الامتياز المقابل لأعضاء المجلس من غير ملاك الأراضى الزراعية أو كبار المستأجرين لأراضى الدولة وكبار مقرضى الأموال من أعضاء المجلس . أما اعباؤهم المالية فتتمثل فى كونهم مسئولين بوصفهم ضامنين لمن يتم ترشيحهم وتعيينهم فى الوظائف العامة .

ويرأس كل مجلس رئيس لقب بلقب Prytanis ويرى بعض المؤرخين انه كان يشغل منصبه عن طريق تعيين الوالى له ، ورأى ثالث يجمع بين الرأيين السابقين وهو

(١) Meautis, Hermoupolis la grande, Loussan, 1916, p. 129.

انه كان يتم انتخابه أولا بين أعضاء المجلس ثم يرفع هذا الأمر فيما بعد للوالى للتصديق عليه . ويبدو أنه لم يكن هناك سلك معين يشترط لتولى هـذا المنصب بخـلاف عضوية مجلس الشورى كما هو واضح من الوثائق التى لدينا . وكانت مدة الرياسة سنة ويمكن تجـديدها . وكان رئيس المجلس مسئولا عن كل أعمال المجلس .

اعمال المجلس :

وتتمثل اهم اعمـال المجلس فى الترشـيح لشـغل مناصب حكام البلدية واختيـار بعض أعضـائه للقيـام بالاشراف على بعض أعمـال البلدية مثـل الاشراف على اعمال البناء والصيانة فى معهد التربية واعداد مواد البناء والصيانة اللازمة لذلك فكان هـؤلاء المشرفون يقومون بالتعاقد مع المقاولين والعمال لشراء المواد المختلفة . وكان من حق المشرف فى حالة عدم تنفيذ المتعاقد لشروط العقد أن يرفع هذا الأمر الى المحاكم باسم ادارة المدينة المالية . ويتم امام المجلس اختيار (النومارك) الذى أصبح يقوم الآن بتحصيل مجموعة من الضرائب . كما يختار المجلس صراف البلدية من بين أعضائه الى جانب انتخاب محصلى ضرائب القمح فى صوامع الاقليم ، الى جانب تعيين نظار ضياع الدولة واختيار الموظفين المختصين بجمع ونقـل وتسليم المواد الغذائية الخاصة بالحامية الرومانية . هذا الى جانب تأجير اراضى المدينة واختيار بعض المشرفين على

الأمن فى المدينة وايضا المشرفين على سجلات البلدية . كما اشترك المجلس مع مدير الاقليم فى تعيين موظفى الأمن فى المدينة مثل قائد حرس الليل nuktosstrategos والموظف الذى حمل لقب (eirenopchos) كما أشرف المجلس على خزانة البلدية ، ففى أوائل كل عام يقوم المجلس بوضع ميزانية عامة للمدينة يراعى فيها الموازنة بين مصادر الدخل والمنصرف . ولم تكن هذه الميزانية ثابتة بأى حال من الأحوال لأنه لم يكن فى استطاعة المجلس أن يحدد مسبقا عددا الذين سوف يحصلون على البطولات الرياضية أو أولئك الذين سوف يحققون الفوز فى المسابقات الموسيقية . وأشرف رئيس المجلس على الناحية المالية للبلدية وساعده فى ذلك صراف البلدية (Tamias) وعدد آخر من الموظفين .

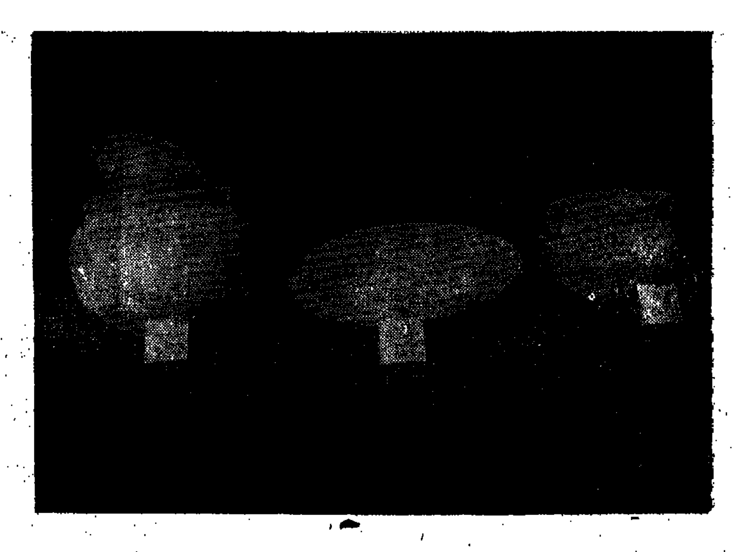
كان المجلس يؤدى جميع هذه الأعمال فى داره التى عرفت باسم (Bouleutrion) وبالرغم من أن المجالس كانت مسئولية عن جوانب كثيرة من النشاط الادارى والاقتصادى فى الاسكندرية والأقاليم الا أن والى مصر ومديرى الاقاليم كانوا هم المسئولين الحقيقيين عن سير العمل ، اذ كان المجلس يقوم بانتخاب الحكام والموظفين طبقا لأوامر الوالى والمدير ، كما كان محصلوا ضرائب القمح النوعية يرسلون تقاريرهم الى المدير عن حالة الأراضى ومنتجات الضياع ، كما ظل الاشراف على

القطاع القضائى فى قبضة الحكومة المركزية وكذلك الأمن العام . كما لم تقم المجالس بأى دور فيما يختص بتعيين صغار الموظفين فى القرى . وعلى أى حال فان هذا لا يقلل من أهمية الدور الذى لعبه مجلس الشورى فى حياة كل اقليم ــ ولكن لم يكن لانشاء مجالس الشورى تأثير جذرى وعميق على النظام المــالى والادارى فى مصر ولكنــه كان التطور الطبيعى لنقابة الحكام فى كل عاصمة اقليم بعــد ازدياد عدد أعضائها .

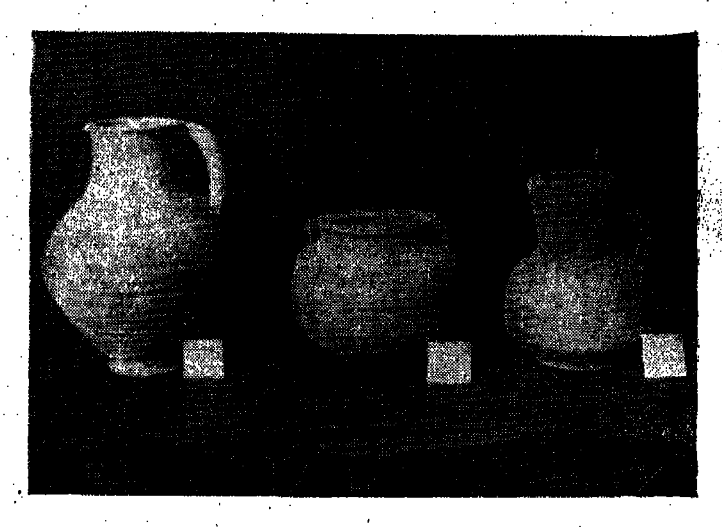
من هذا العرض السريع يتضح لنــا أن الامبراطور سيبتيموس سيفروس لم يهدف بهذا الاصلاح الى تحقيق الاستقلال المحلى المثالى ، والدليل على ذلك أن ملامح التغيير كانت فاترة ، ولكنه كان يريد الاحتفاظ بسيطرة الحكومة على كل أدوات الجهاز الادارى الى جانب اتاحة الفرصة للحكومة الرومانية فى مصر من سد احتياجاتهــا من الموظفين بالاضافة الى ضمان حقوقها المالية ، هذا مع ارضاء الارستقراطية المحلية لاحساسهم بانهم أصبح لهم دور فى ادارة شئون الاقليم . وقد كلفهم هذا الاحساس كثيرا من الأعباء المالية حتى انه فى امكاننا ان نقول ان انشاء مجالس الشورى فى عواصم الأقاليم كانت الخطوة الحاسمة التى انتهت بالقضاء على طبقة المتاغرقين المتوسطة فى البلاد . ولا ننكر ان هذا الاصلاح قام بتنشيط الجهــاز الادارى بعض الشىء ، ولكنه ما لبث أن عاد يشكو وطأة

المرض مرة أخـرى حتى قام الامبراطور ديقلديانوس باصلاحاته الجزرية سنة ٢٨٤ م . والتى دخلت بها مصر عصرا جديدا من تاريخها وهو العصر الذى يسمى باسم العصر البيزنطى .

اللوحات



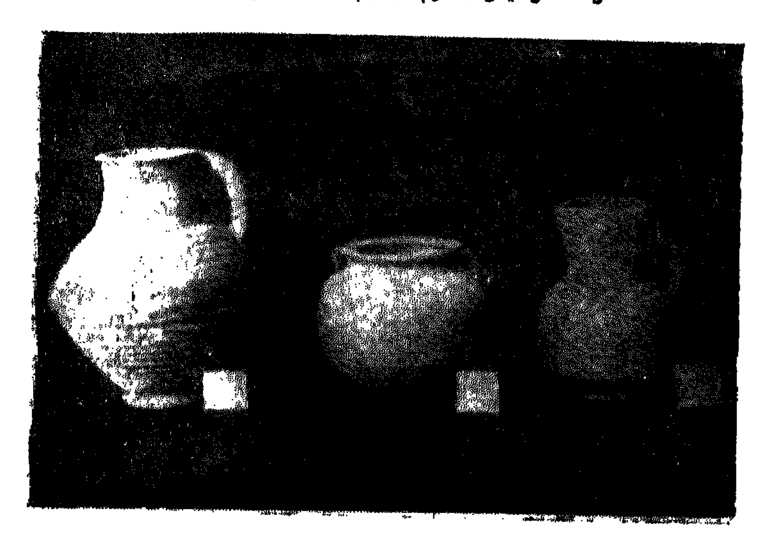
شكل (١) اواني فخارية ـ حفائر كلية الآداب
القاهرة ، كرانيس (كوم اوشيم) الفيوم ١٩٧٣



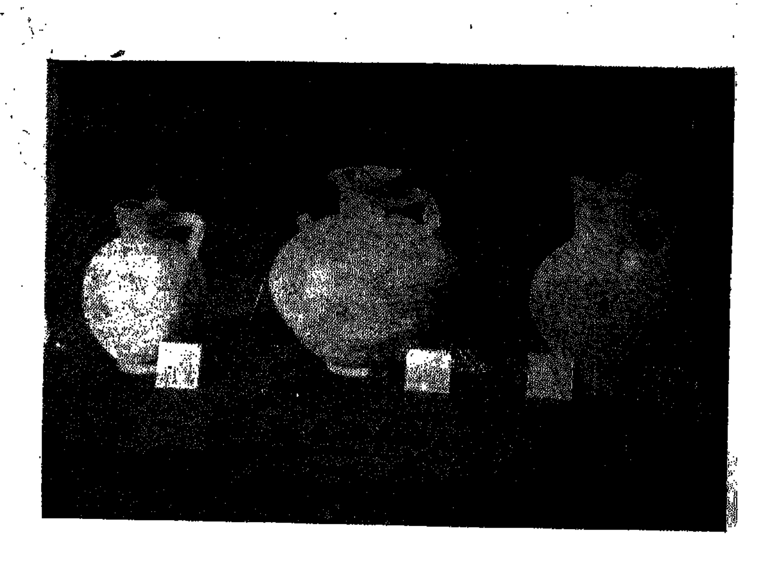
شكل (٢) اوانى فخارية ـ حفائر كلية الآداب ،
القاهرة ، كرانيس (كوم آوشيم) ـ الفيوم ١٩٧٣



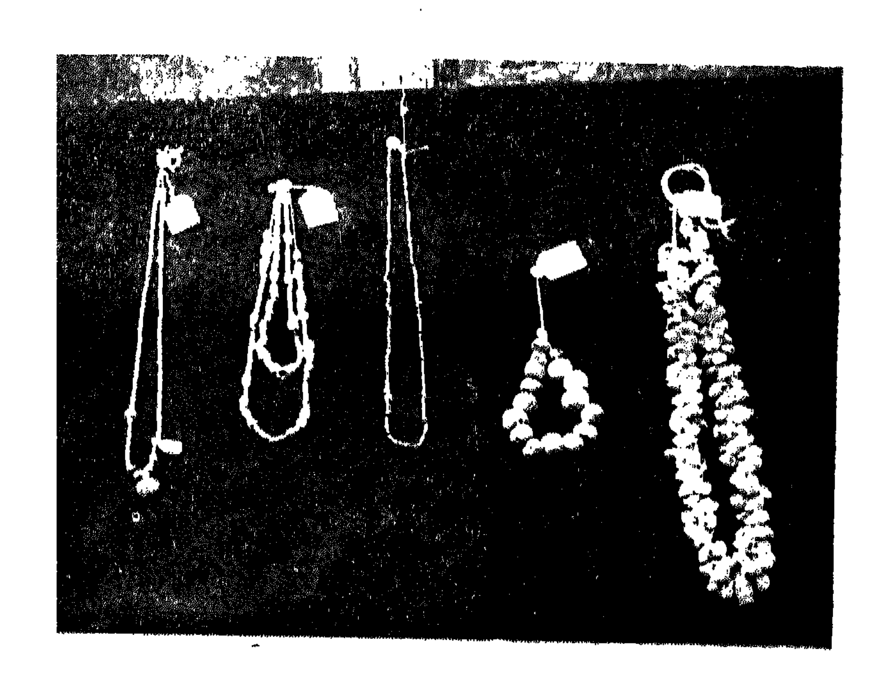
شكل (٣) اواني فخارية ـ حفائر كلية الآداب ،
القاهرة ، كرانيس (كوم أوشيم) ـ الفيوم ١٩٧٣



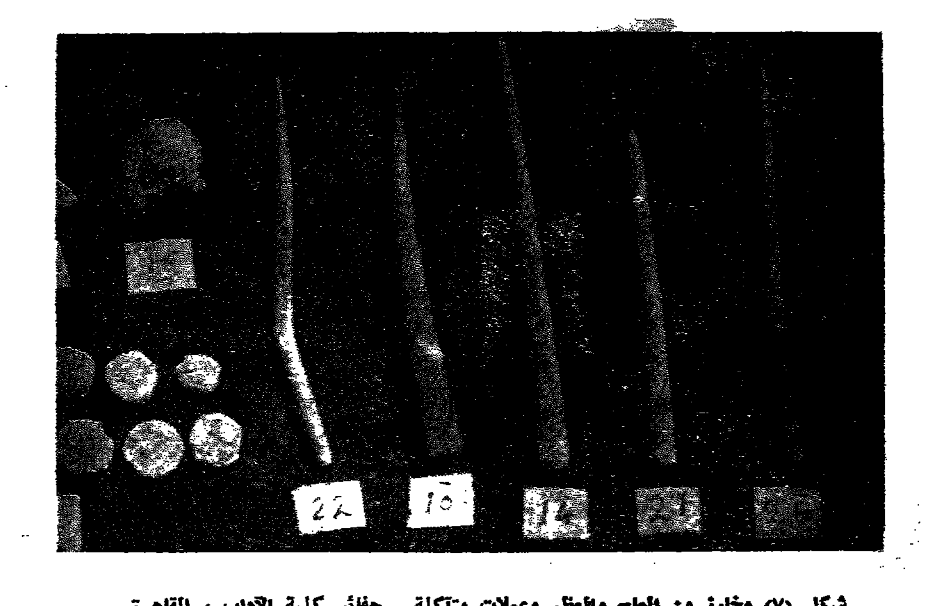
شكل (٤) أواني فخارية ـ حفائر كلية الآداب ،
القاهرة ، كرانيس (كوم أوشيم) ـ الفيوم ١٩٧٣



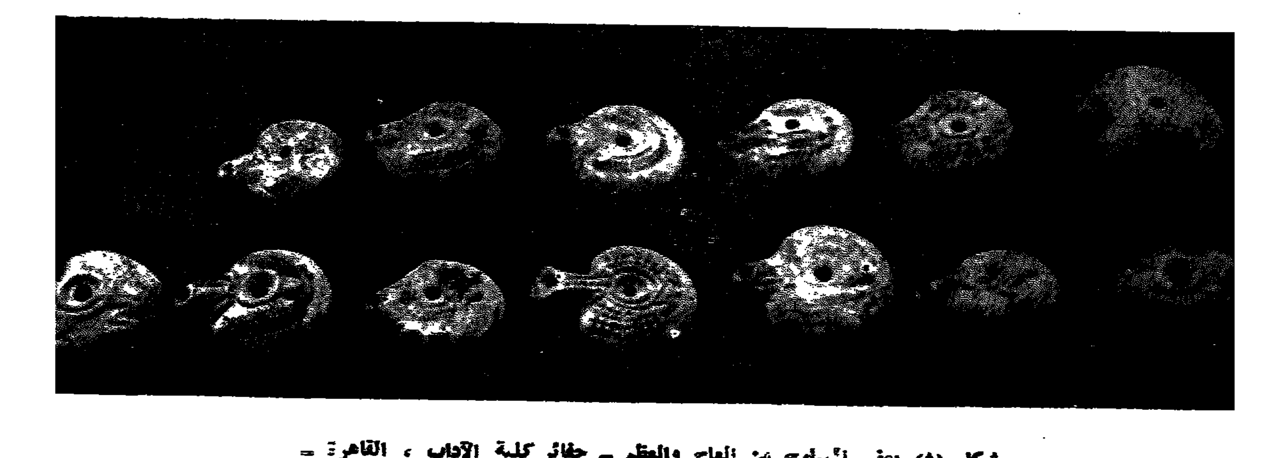
شكل (٥) أوانى فخارية ــ حفائر كلية الآداب ،
القاهرة ، كرانيس (كوم أوشيم) ــ الفيوم ١٩٧٣ .



شكل (٦) بعض الحلى المصنوعة من الخرز والعاج -
حفائر كلية الآداب ، القاهرة ، كرانيس (كوم اوشيم) -
الفيوم ١٩٧٣



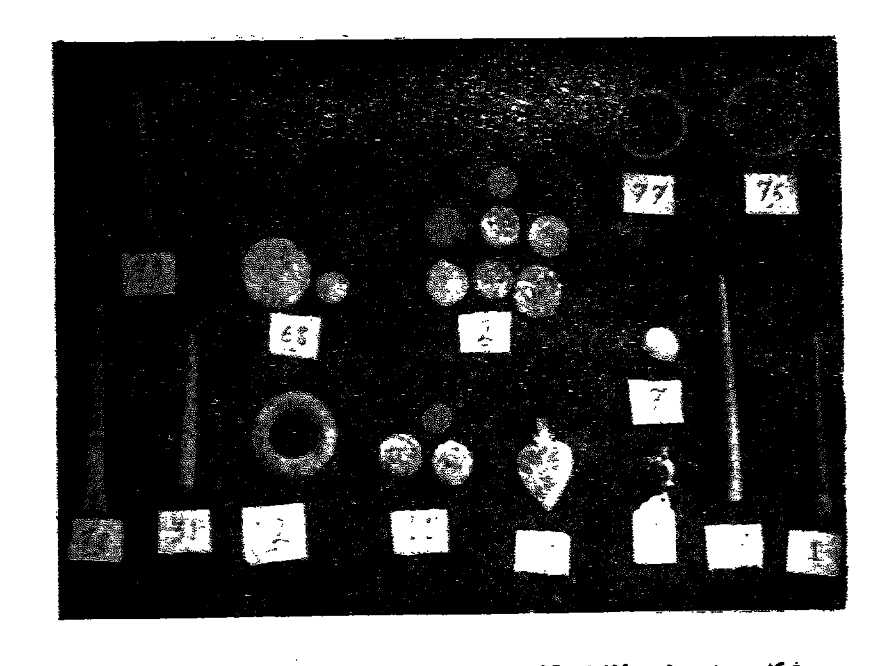
شكل (٧) مخارز من العاج والعظم وعملات متآكلة ـ حفائر كلية الآداب ، القاهرة ـ كرانيس (كوم آوشيم) ـ الفيوم ١٩٧٣



شكل (٨) بعض النماذج من العاج والعظم – حفائر كلية الآداب ، القاهرة = كرانيس (كوم أوشيم) – الفيوم ١٩٧٣



شكل (٩) أجزاء من بعض التماثيل الصغيرة ـ حفائر كلية الآداب ، القاهرة ،
كرانيس (كوم أوشيم) ـ الفيوم ١٩٧٣



شكل (١٠) بعض المخارز وقطع من العملات وأدوات الزينة وبعض قطع من الحلى
ـ حفائر كلية الآداب ، كرانيس (كوم أوشيم) ـ الفيوم ١٩٧٣

قائمة المراجع

اولا ـ المراجع الاوربية

1. **P. Herm.:** Corpus Papyrorum Hermopolitanorum, C. Wesseley, Leipzig, 1905.
2. **P. Lond.:** Greek papyri in the British Museum, F. G. Kenyen and H.I. Bell, at present, 5 vols., 1893-1917.
3. **P. Ryl.:** Catalogue of the Greek papyri in the John Rylands Library, Manchester, A.S. Hunt, J. de M. Johnson, v. Martin, C.H. Roberto, and E.G. Turner. Manchester, 1911-1952. 4 vols., in 1965.
4. **P. Sarapion:** Les archives de Sarapion et de ses fils, une exploitation agricole aux environs d'Hermoupolis Magna (de 90 à 133 D.C.), Le Caire, 1961.
5. **H.I. Bell:** Cults and Greeds in Graeco-Roman Egypt, Liverpool, 1953.
6. **H.I. Bell:** « The Constitutio Antoniana and the Egyptian Poll-tax », **JRS**, 37, 1947.
7. **M.P. Charlesworth:** Trade Routes and Commerce of the Roman Empire, Cambridge, 2nd ed., 1926.
8. **P. Collart:** « A l'école avec les petits Grecs d'Egypte », **Chronique d'Egypte**, II, 1936.
9. **M.A. El-Abbadi:** « The Gerousia in Roman Egypt, **JEA**, 50, 1964.
10. **S.R.R. Glanville:** The Legacy of Egypt, Oxford, 1957.
11. **D.B. Harden:** Roman Glass from Karanis found by the University of Michigan.
12. **A.C. Johnson:** Roman Egypt to the Reign of Diocletian, Baltimore, 1937.

13. **A.H.M. Jones :** « Another Interpretation of the Constitutio Antoniana », **JRS**, 26, 1936.
14. **P. Jouguet :** « La vie municipale dans l'Egypte Romaine », Paris, 1911.
15. **J. Lesquier:** L'Armée Romaine d'Auguste à Diocletian, Le Caire, 1918.
16. **M. Meautis :** Hermoupolis La Grande, Lousan, 1916.
17. **S.J. Mosurillo :** The Acts of the Pajan Martyrs (Acta Alexandrinorum, Oxford, 1554.
18. **J. Schwártz :** « La terre d'Egypte au temps du Trajan et d'Hadrian, archive de Sarapion », **Chronique d'Egypte**, XXXIV, 1958.
19. **A. Swiderek :** « La propriété foncière privée dans l'Egypte de Vespasian et sa technique agricole d'après P. Lond. 131, Recto », **Bibliotheca Antique** I, 1960.
20. **V. Tcherikover :** « Syntaxis and Laographia », **JJP**, IV, 1950.
21. **S.L. Wallace :** Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian, London, 1938.
22. **J.G. Winter :** Life and Letters in the Papyri, Michigan, 1933.
23. **E. Wipszyoka :** L'industrie textile dans l'Egypte Romaine, Wroclaw, 1965.
24. **G. Zalatio :** « Papyri scolastici », **Aegyptus**, 41, 1961.

ثانيا ـ المراجع العربية

١ ـ **د. سعاد محمد ماهر :**
البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية، القاهرة، ١٩٦٧

٢ ـ **د. عبد اللطيف احمد علي :**
مصر والامبراطورية الرومانية في ضوء أوراق البردي، القاهرة ١٩٦٣.

٣ ـ **د. عبد اللطيف احمد علي ود. محمد صقر خفاجة :**
أساطير اليونان ، القاهرة ١٩٥٩ .

أهم معالم مصر الأثرية في العصر الروماني

٣٠° ٣٢°

البحر الأبيض المتوسط

الإسكندرية
برلس
بوتو
سنيديا
خيبوس
منديس
الفرما
هرموبوليس الصغرى
نقراطيس
تانيس
كينيكوبوليس
أتربيس
هيراكليوبوليس الصغرى
أندروبوليس
هليوبوليس
ليونتوبوليس
بابيلون
منف
السويس
الفيوم
أفروديتوبوليس
نيلوبوليس
هيراكليوبوليس
أكسيرونخوس
كينوبوليس
ثيودوسيوس بوليس
أنتينوبوليس
هرموبوليس ماجنا
تل العمارنة
كوساي
ليكوبوليس
أبوللونيوس هيتا نوميا
أفروديتو بوليس
ديوس بوليس بارفا
أبيدوس
دندرة
مكسيميا نوبوليس
أرمنت
أبوللونو بوليس ماجنا
أومبي
الفنتين
أسوان
فيله

البحر الأحمر

ميل
١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠

فهـــرس